

بيان ما في نصيحة ابراهيم الرصاي من الخلل والاخلال

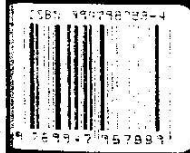


كتبه
فضيلة الشيخ العلامة
ربيع بن هادي عمير المدخلي
رئيس قسم الشريعة بالمملكة الإسلامية بالبحرين سابقاً

بيان ما في نصيحة ابراهيم الرصاي من الخلل والاخلال



كتبه الشيخ العلامة
ربيع بن هادي عمير المدخلي
رئيس قسم الشريعة بالمملكة الإسلامية بالبحرين سابقاً



دار ميراث النبوي للنشر والتوزيع
الدار البيضاء - الجزائر العاصمة
الإدارة: 554250098 (00213)
المبيعات: 661409999 (00213) 21966847
البريد الإلكتروني: Dar.mirath@gmail.com

بيان ما في نصيحة ابراهيم الرصاي من الخلل والاخلال

كتبه
فضيلة الشيخ العلامة
ربيع بن هادي عمير المدخلي
رئيس قسم الشريعة بالمملكة الإسلامية بالبحرين سابقاً

دار ميراث النبوي للنشر والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة

للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٢ هـ - ٢٠١٢ م

طبع بإذن المؤلف

العلم ميراث النبي كذا أتى في النص والعلماء هم ورثته
ما خُلف المختار غير حديثه فينا فذاك متاعه وأثاثه

رقم الإيداع القانوني: 2734-2012
ردمك: 9-88-987-9947-978

دار ميراث النبوي للنشر والتوزيع

الدار البيضاء - الجزائر العاصمة
الإدارة: 554250098 (00213) 661409999 (00213)
المبيعات: 21966847 (00213)
البريد الإلكتروني: Dar.mirath@gmail.com

التوزيع في مصر: دار المستقبل
50- شارع منشية التحرير- جسر السويس - عين شمس- القاهرة
ت. 00201118328377

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فإن الله أرسل محمداً عبده ورسوله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

وأنزل عليه كتاباً فيه بيان كل شيء وعلمه السنة وهي الوحي الثاني ليزيد البيان بياناً وتفصيلاً، وأكمل له هذا الدين.

فبلغ رسول الله ﷺ الرسالة وأدى الأمانة علماً وعملاً حتى تركنا على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

وأمر رسول الله ﷺ أمته بالتبليغ، فقال ﷺ: «... لَا يَبْلُغُ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ»^(١).

فقام صحابته الكرام الأوفياء بتبليغ هذه الرسالة الكريمة على أكمل الوجوه كتاباً وسنة وعلماً وعملاً وجهاداً وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر.

وهكذا فعل التابعون لهم بإحسان وتابعوهم من أهل السنة وأئمة الهدى.

ومما تضمنته رسالة محمد ﷺ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن أنكر المنكرات الابتداع في الدين بمخالفة هدي محمد ﷺ وخلفائه الراشدين، وقد أخبرنا الرسول الصادق الأمين بما سيحدث بعده من الابتداع والاختلاف والتفرق في الدين، فقال ﷺ: «... فَإِنَّهُ مَنْ يَعْشَ مِنْكُمْ بَعْدِي»^(٢).

(١) أخرجه البخاري حديث [١٠٥]، ومسلم برقم [١٦٧٩].

٧

إبراهيم الرحيلي من الغلل والإخلال

جَاهِدُهُمْ بِسَاقِيهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»^(١).

وقال ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مِنْ خَدَّلْتُهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»^(٢).

فقامت هذه الفرقة الناجية المنصورة برفع راية الكتاب والسنة دعوة جهاداً وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر، ومن ذلك ذهب عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والتفريق بين الهدى والضلال والحق والباطل، وبيان أهل الحق وموالاتهم، وبيان أهل الباطل من الفرق الضالة فرقة فرقة، وبيان فساد عقائدهم ومناهجهم والتحذير منهم بالحجج والبراهين في مؤلفات كثيرة شهيرة، يعرفها العلماء وطلاب العلم.

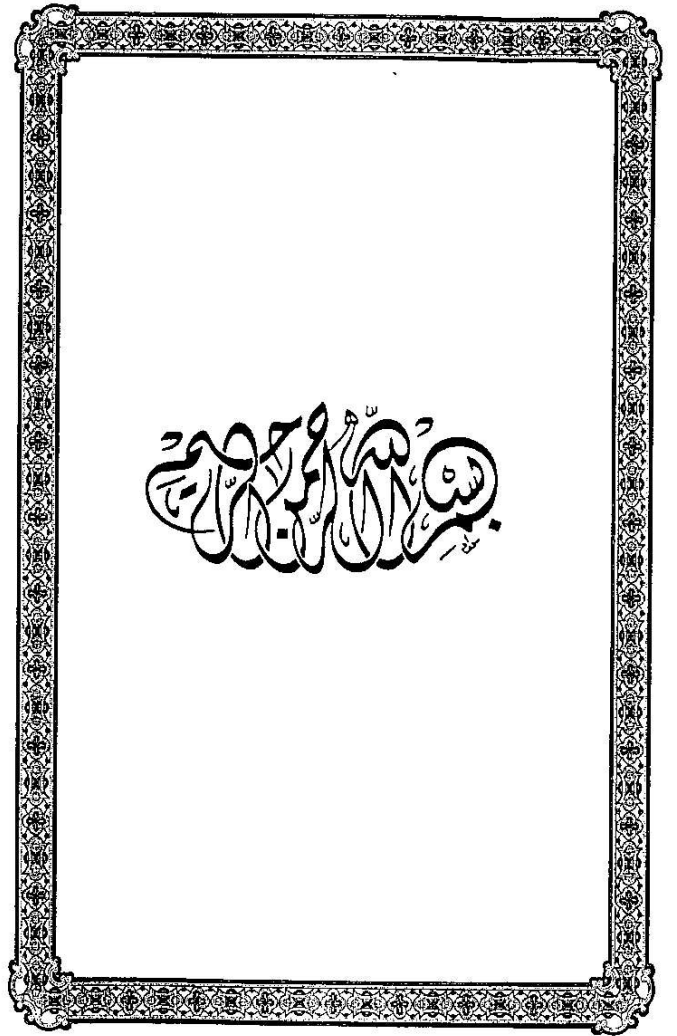
واستمر الصراع بين أهل السنة والحق وبين أهل البدع والضلال إلى يومنا هذا.

يؤلف أهل السنة المؤلفات في بيان أهل البدع والضلال وبدعهم وضلالهم قياماً بواجب النصح للمسلمين، وحماية وذبا عن الدين مما أوهن أهل الضلال، وكسر شوكتهم، وبصر الناس بضلالهم وضلال عقائدهم ومناهجهم.

فلم يعجب هذا الجهاد فئة ممن يتاجر بالدين، ويشترى بآيات الله ودينه ثمنًا قليلًا، فتصدوا لحرب أهل السنة بأساليب مأكرة، ينجل منها أهل البدع والضلال من الكذب والتلاعب بالكلام والتأصيلات الباطلة المناهضة لأصول أهل السنة ومناهجهم؛ دفاعاً عن أهل الضلال وادعاءات لهم بأنهم من أهل السنة، وحرباً لأهل السنة والحق، بل وطعنًا فيهم وتشويهاً لهم.

(١) أخرجه أحمد [٤٥٨/١]، ومسلم حديث [٥٠]، وأبو عوانة [٣٦/١].

(٢) أخرجه البخاري حديث [٣٦٤١]، ومسلم حديث [١٩٢٠].



٦

بيان ما في نصيحة

فَسَتَرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ فَتَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ وَإِنَّا كُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(١).

وكان رسول الله ﷺ إذا خطب أحرث عيانه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه مُنذِرٌ جيشٍ يقول صبحكم ومساكم ويقول: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِضْبَعَيْهِ السَّيَّابَةِ وَالنُّوسَطَى وَيَقُولُ أَمَّا بَعْدُ: فَإِنْ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(٢).

وهذا وذلك يدل على خطورة البدع وشانعتها وضررها.

ومن أقوال الرسول الكريم الناصح الأمين: «مَنْ أَخَذَتْ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رِدٌّ»^(٣)، وفي رواية: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رِدٌّ»^(٤).

وأخبر رسول الله ﷺ أن هذه الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قالوا من هم يا رسول الله؟ قال: «مَنْ كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»، وفي رواية: «هِيَ الْجَمَاعَةُ»^(٥).

وقال ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ يَعْصِيهِ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ خَوَارِثُونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ، يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ

(١) أخرجه أحمد [١٢٦/٤]، وأبو داود حديث [٤٦٠٩]، والترمذي حديث [٢٦٧٦].

(٢) أخرجه مسلم حديث [٨٦٧].

(٣) أخرجه البخاري حديث [٢٦٩٧]، ومسلم حديث [١٧١٨].

(٤) أخرجه مسلم حديث [١٧١٨].

(٥) أخرجه أحمد [١٠٢/٤].

فأتوا بها لم يستطع أهل البدع، مما أفرح أهل البدع، وجعلهم يقدمون لهم الأموال الطائلة ليستمروا في حرب أهل السنة، فاستمروا في هذه الحرب الظالة إلى أن وصل بهم الحال إلى الدفاع عن دعاة وحدة الأديان وأخوة الأديان وحرية الأديان... الخ، وإلى تلميع المذاهب ونفي الغلو والتطرف عنها، بها فيها مذاهب الروافض والخوارج والصوفية.

في الوقت الذي يرمون فيه أهل السنة بالغلو والشذوذ والتشدد إلى طعون أخرى. وتصدى لعلاج هذه الفتنة الكبيرة الدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي في رسالته التي سماها بـ «النصيحة فيما يجب مراعاته عند الاختلاف وضوابط هجر المخالف والرد عليه»، فكتب به جواده، فلم تكن نصيحته واضحة فلم يفرق فيها بين الظالم والمظلوم، ولم يبين الغث من السمين، مع كثرة ضوابطه التي لا يستفيد منها إلا الظالم المخالف المستعثر هذه الفتنة التي تصدى لعلاجها الدكتور إبراهيم.

ومن هنا استاء منها أهل السنة الفطناء، واحتفى بها أهل الباطل والفتنة العمياء. فاضطرت إلى مناقشة هذه النصيحة وبيان ما فيها من قصور وخلل نصرة للحق ونصحا لكاتبها، ونصحا للإسلام والمسلمين.

أسأل الله أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتفح بها المحققين والمخالفين، إن ربي لسميع الدعاء.

قال الدكتور إبراهيم في (ص ١٠٠٩):

«فهذه نصيحة للشباب من أهل السنة والجماعة أوجب تحريرها الإسهام في النصح للمسلمين وانصلح بين أهل السنة على ما جاءت النصوص بالترغيب في ذلك. والباحث عليها ما يعيشه الكثير من الشباب السلفيين في كثير من البلدان الإسلامية بل حتى في البلدان الكافرة التي تسكنها أقليات من المسلمين من تفرق كبير بسبب الاختلاف في المسائل العلمية والمواقف العملية من بعض المخالفين

وما نتج عن ذلك من تقاطع وتهاجر بل واعتداء وبغي بين أهل السنة حتى عظمت الفتنة واشتد خطرها فأثرت في سير الدعوة إلى السنة بل صدت بعض الناس عن اعتناقها بعد أن أقبل الناس عليها في كثير من الأمصار والبلدان».

أقول،

١- كان الواجب عليك أن تعرف أسباب الخلاف بين الشباب السلفي والمتسبين فيها، ثم الصدع بالحق وإدانة هؤلاء المفرقين للشباب الذين ابتدعوا أصولاً فاسدة للدفاع عن أهل الضلال والبدع فتنتدح أصولهم وتأسيلاتهم الفاسدة ومنهجهم الفاضلة ودفاعهم عن أهل البدع والضلال وحرهم لأهل السنة وتشويه منهجهم وعلماهم.

٢- كان يجب عليك أن تنص على أعيان البغاة المعتدين، الذين عظمت بهم الفتنة واشتد خطرها بسبب أفعالهم هذه الفتنة وتأجيجها بأساليبهم الماكرة وأصولهم الباطلة، التي أضلت لهدم منهج أهل السنة وإسقاط علمائهم، فانتدح كثير من الناس بهذه الأساليب الماكرة والتباكي الكاذب والتأصيلات الباطلة التي غايتها رد الحق وإضلال الخلق، فعظمت بهم الفتنة واشتد خطرها، فكان من آثارها انحراف الكثير من أهل السنة ونفور الكثير من الناس عنها بعد إقبال الناس عليها، وبالبداهة يُعلم من هو الطارئ بفتنته على الدعوة السلفية الذي أحدث هذه الفتن والتفرق.

وهذا البيان من مقتضيات النصيحة، إذ النصيحة والبيان من أهم ما بعث به الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، قال تعالى عن نبيه نوح: ﴿أَتْلُفْكُمْ يَسْكُنْتُ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعِزُّكُمْ بِمَا كَلَّمْتُكُمْ﴾^(١)، وقال تعالى عن نبيه هود: ﴿أَتْلُفْكُمْ يَسْكُنْتُ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾^(٢)، وَقَالَ تَالِي: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُلٍ إِلَّا يُلَاقِيهِمْ قَوْمُهُمْ لِيَكُنْ لَهُمْ فَيَضِلُّ اللَّهُ مِنْ يَسَاءٍ وَيَهْدَى مِنْ يَسَاءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣).

(١) سورة الأعراف، الآية [٦٢].

(٢) سورة الأعراف، الآية [٦٢].

(٣) سورة إبراهيم، الآية [٤٤].

٣- ويقول: «وقد علمت أن الباحث على قتله (أي جهنم) أمر سياسي محض؛ لأن جهنم كان خطيب الحارث^(١) وقارئ كتبه في المجامع، والداعي إلى رأيه وإلى الخروج معه على بني أمية وعلمهم، لسوء سيرتهم وقبح أفعالهم وشدة بغيم كما أثروا قبل.

ولا يخفى على من له أدنى مسكة من عقل أن الدهرية لا يقرون بالوهمية ولا نبوة. وجهنم كان داعية للكتاب والسنة، ناقماً على من انحرف عنها، مجتهداً في أبواب من مسائل الصفات، فكيف يستحل نبزه بالدهرية وهي أكثر الكفر؟! ومن هنا يعلم أن لا عبرة بنز الأمرء والملوك من ينقم عليهم سيرتهم بالألقاب السوء، والتاريخ شاهد عدل، وليس القصد التحزب لجهنم والدفاع عن مذهبه وآرائه، كلا، فأنا أبعد الناس عن التحزب والتعصب والتقليد، ولكن الإنصاف يدعو أن يذكر المرء بها له وما عليه إذا أريد درس حياته ومعرفته سيرته، وذلك ما توخيناه هنا»^(٢).

انظر إلى القاسمي كيف يخالف النصوص النبوية في الصبر على الولاية ما داموا في دائرة الإسلام، ويخالف منهج السلف في تطبيق هذه النصوص والتزامها وحثهم الأمة على التزامها.

وتعجب من تأييده لمذهب الخوارج الذين ذمهم رسول الله ﷺ وحض الأمة على قتلهم ووصفهم بأنهم شر الخلق والخليفة.

واعجب من دفاعه عن جهنم ورفعته إلى درجة الدعاة إلى الكتاب والسنة وإلى درجة المجتهدين.

(١) الحارث هذا من الخوارج، وقد خرج على الدولة الأموية في المشرق، ولما هزم في إحدى معاركه التجأ إلى دولة كافرة، وبقي فيها اثني عشرة سنة، ولما حدث قتال بين الجيش الإسلامي وبين جيش هذه الدولة الكافرة، اشترك الحارث مع الكفار في قتال المسلمين، وكان يدل الكافرين على عورات المسلمين، ثم عاد إلى بلاد الإسلام بأمان من الخليفة الأموي في ذلك الوقت، فلم يلبث أن تحرك بثورة ثانية قُتل فيها هو والجهنم بن صفوان.

(٢) «تاريخ الجهمية والمعتزلة»، ص [١٨].

والعلماء ورثة الأنبياء في هذا النصح والبيان وغيرهما.

٣- وإذ لم يحصل منك البيان المطلوب شرعاً فأرى أنه يتعين علي القيام به نصحاً للإسلام والمسلمين.

هاقون: إن رؤوس هذه الفتن ومخترعيها ومؤججي نيرانها وحاملي رايتها المعروفون عند أهل السنة النهاء إنهم عدنان عرعور وأبو الحسن المأربي وعلي حسن الحلبي، ومن دار في فلكنهم، وتمسك بأصولهم ومنهجهم، إن هؤلاء يسرون في حريمهم لأهل السنة ودفاعهم عن أهل البدع الكبرى يسرون على منهج محمد عبده المصري أحد كبار الماسونية وعلى منهج تلميذه جمال الدين القاسمي الذي ألف كتابين في الدفاع عن أهل البدع الكبرى من الجهمية والمعتزلة والخوارج وغيرهم، والكتابان هما: كتاب: «تاريخ الجهمية والمعتزلة»، و«ميزان الجرح والتعديل».

١- وذهب يدافع في هذين الكتابين عن أهل البدع وأئمتهم، ويدعي للجهمية والمعتزلة بأنهم من المجتهدين لهم ما للمجتهدين^(١).

٢- وينقل تكفير الجهمية لأهل الأثر أي أهل السنة والحديث في صلب كتابه، ثم يعلق عليه في الحاشية بقوله:

«أي لأن الظاهر -على ما يفهمونه- يؤدي إلى التمثيل والتشبيه بالمخلوقات، وقد تقدم في فلسفة جهنم شيء من التحقيق في معنى الظاهر، بما يرجع الخلاف لفظياً»^(٢).

انظر كيف يعدد الخلاف بين مذهب أهل الحق وبين مذهب الجهمية الكفري لفظياً، ثم لا يستنكر تكفير الجهمية لأهل السنة.

(١) انظر: كتابه «تاريخ الجهمية والمعتزلة»، ص [٢٧٧].

(٢) انظر: حاشية، ص [٤٧] من كتابه «تاريخ الجهمية والمعتزلة».

وانظر إلى مغالطاته الشيعة حيث يقول:
«وليس القصد التحزب لجهنم والدفاع عن مذهبه وآرائه، كلا!، فأنا أبعد الناس عن التحزب والتعصب والتقليد».

وانظر إليه كيف يدّعي أن عمله هذا من الإنصاف، أليس هذا طعنًا في أئمة الإسلام الذين بدّعوا جهنم وكفّروا وفرحوا بقتله، ولم يعدوه أمرًا سياسيًا، وهو يعدّ موقفهم هذا الإسلامي العادل تحزبًا وتعصبًا وتقليدًا.

نعوذ بالله من الهوى والمغالطات وقلب الحقائق بمدح من يستحق الذم والإهانة، وذم من يستحق المدح والثناء والاحترام والتقدير.

٤- ويقول القاسمي في كتابه «ميزان الجرح والتعديل» (ص ١٠):

«إذا علمت هذا^(١) فماذا يقال في هؤلاء المفسقين^(٢)، أجهلوا المعنى العرفي للفسق، أم تجاهلوا؟ أم اجتهدوا فأداهم اجتهداهم أم قلدوا؟ لا غرو أنهم جهلوا وقلدوا، وبإلئهم قلدوا إمامًا متبوعًا، بل قلدوا أواخر المقلدة الجامدة المتعصبة. ولو نظروا في تراجم الرجال، وتدبروا سيرة كثير من أولئك المبدّعين الأبطال، لعلموا أن ربههم بالفسق يكاد أن يهتز له العرش. خذ لك مثلاً من شيوخ المعتزلة عمرو بن عبيد، وانظر في ترجمته إلى زهده وتقواه. قال الذهبي في الميزان: وقد كان المنصور الخليفة العباسي الشهير يخضع لزهده عمرو وعبادته يقول شعراً:

كلكم يطلب صيد غير عمرو بن عبيد

وينقل مدحاً آخر عن المنصور لعمر بن عبيد ويطري هذا المدح، ثم يرمي أهل السنة الذين ينتقدون عمرو بن عبيد وأمثاله من أهل الضلال، يرميهم بالعصية والتمذهب والجمود في العصية.

(١) مراده بالمفسقين أئمة السنة، وقصده نفي الفسق عن المبتدعة من الجهمية والمعتزلة وغيرهم.
(٢) يعني: أهل السنة.

وانظر: ترجمة عمرو بن عبيد في «الميزان» للذهبي؛ لترى مغالطة القاسمي الشيعة في هذه الحوالة حيث اختطف مدح المنصور لعمر بن عبيد، وأسدل الستار على الطعون القاتلة فيه من أئمة الإسلام الذين نقل عنهم الذهبي أن عمرو بن عبيد يكذب في الحديث وهما لا تعمداً، وكان يكذب على الحسن.

ونقل الذهبي عن العقيلي بإسناده إلى سعيد بن عامر، وذكر عنده عمرو بن عبيد في شيء، فقال: «كذب وكان من الكذابين الأئمين»، ولم يقل يكذب وهما.

وكان عمرو يشتتم أصحاب رسول الله ﷺ.

وقال الذهبي: قال الفلاس: سمعت عبد الله بن سلمة الحضرمي يقول: سمعت عمرو ابن عبيد يقول: «لو شهد عندي علي وطلحة والزبير وعثمان على شرك نعل ما أجزت شهادتهم».

ونقل الذهبي بإسناده عن عمرو بن عبيد أنه قال: «لو كانت (تبت يدا أبي لهب) في اللوح المحفوظ لم يكن لله على العباد حجة»^(١).

ومع رؤيته هذا الطعن وغيره مما نقله الذهبي في «الميزان» تراه يمدح عمرو بن عبيد ويعدّه من الأبطال ويفرح بمدحه الباطل.

هذا إلى جانب عقيدته الضالة التي مدحه بها القاسمي، واستدل بها على تقواه، كما في باقي كلامه في (ص ١٠) من «ميزانه»، كل ذلك يدل على خطورة هذا الرجل ومنهجه المهلك.

ويقول عن السلفية في نجد:

«أما البلاد المنتشر فيها مذهب السلف الأثرية خاصة في العقائد، فهي بلاد نجد بتامها، فإنها سلفية الاعتقاد، لكن يغلب عليها الجفاء والغلو»^(٢).

(١) انظر: ترجمته في «الميزان» (٣/ ٢٧٢-٢٨٠).

(٢) «تاريخ الجهمية والمعتزلة»، ص [٥٦].

ويدافع القاسمي عن ابن عربي الملحد والنصير الطوسي الرافضي الغالي، فيقول:
«لا عبرة برمي شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وأمثالهم رجحاً لله بالإلحاد مثل النصير الطوسي وابن عربي وبعض الأشاعرة المتأولين لآيات الصفات وآثارها فإن ذلك منه ومن أمثاله حية مذهبية وغيره على نصرة ما قوي لديه»^(١).

وينقل عن ابن عربي في كتابه «قواعد التحديث»^(٢) في عدد من المواطن يقول فيها:
«وقال الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي قدس الله روحه في فتوحاته».

ولا يحذر مما في هذا الكتاب من الإلحاد والكفریات وتحريف كتاب الله.

ومن إلحاده قوله في وحدة الوجود:

الرب عبد والعبد رب يا ليت شعري من المكلف ويرويه بعض الصوفية:

الرب حق والعبد حق يا ليت شعري من المكلف إن قلت عبد فذاك ميت أو قلت رب أنى يكلف^(٣)

ومعناها متقارب.

فهو تائه لا يؤمن بما جاء به الرسل ونص عليه القرآن من أن الله خلق العباد لعبادته، فالرسل كلهم قال الله عن رسالتهم: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصَّلَاحَاتِ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَبِأَرْوَاحِهِمْ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾^(٤).

(١) كتاب: «جمال الدين القاسمي وعصره»، ص [٢٧٤].

(٢) انظر: «الصحاح الآتية من الكتاب المذكور»، ص (٥٠، ٢٨٠، ٣٤٨).

(٣) «الفتوحات المكية» لابن عربي (٢/١).

(٤) سورة «النحل»، الآية [٣٦].

وَالْقَائِلُ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِعِبَادَتِي﴾^(١).

وهذا الرجل لا يؤمن بأن الله خلق الجن والإنس لعبادته، فهو يقول بسقوط التكاليف عن العباد مضادة لما بعث الله به الرسل ومضادة لما نص عليه القرآن والسنة وأجمع عليه المسلمون.

بالإضافة إلى قوله بوحدة الوجود.

ويقول بتفضيل الأولياء من أمثاله على الأنبياء والرسل.

ومن أقواله في هذا:

مقام النبوة هي برزخ فَوْقَ الرُّسُولِ وَدُونِ الْوَلِيِّ^(٢)

فهو يعاكس العقائد الإسلامية الصحيحة وما جاء به القرآن والسنة.

يفضل الأنبياء على الرسل، ويفضل الأولياء على الأنبياء والرسل.

ويقول بوحدة الأديان.

ومن شعره في هذه العقيدة قوله:

عقد الخلائق في الإله عقائدنا وأنا اعتقدت جميع ما عقده^(٣)

فهو يؤمن بكل العقائد الكفرية اليهودية والنصرانية والمجوسية والهندوكية ووحدة الوجود.

وهو يرى أن أهل النار يتمتعون كما يتمتع أهل الجنة، فيقول^(٤):

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده وما لوجود الحق عين تعانين

(١) سورة «الذاريات»، الآية [٥٦].

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية» (٢/ ٨٢٨) لابن أبي العز.

(٣) «الصفدية» لابن تيمية (١/ ٩٩).

(٤) كتاب «الصفدية» لابن تيمية (١/ ٢٤٦)، وأحال المحقق على «الفصوص» لابن عربي (١/ ٩٤).

فإن دخلوا دار الشقاء فإنهم
نعيم جنات الخلد فالأمر واحد
يسمى عذاباً من عذوبة طعمه
وذلك له كالقشر والقشر صاين
وأما الطوسي، فمن أضل خلق الله ومن شر أعداء الإسلام والمسلمين، قال فيه
الإمام ابن القيم رحمه الله في «إغاثة اللهفان»^(١):

«ولما انتهت النبوة إلى نصير الشرك والكفر الملحد، وزير الملاحدة، النصير الطوسي وزير هولاء، شفا نفسه من أتباع الرسول الكريم وأهل دينه، فعرضهم على السيف، حتى شفا إخوانه من الملاحدة، واشتفى هو، فقتل الخليفة والقضاء والفقهاء والمحدثين، واستبقى الفلاسفة والمنجمين والطبايعين والسحرة، ونقل أوقاف المدارس والمساجد والربط إليهم، وجعلهم خاصته وأولياءه، ونصر في كتبه قدم العالم وبطلان المعاد وإنكار صفات الرب جل جلاله: من علمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره، وأنه لا داخل العالم ولا خارجه، وليس فوق العرش إله يعبد البتة.

واتخذ للملاحدة مدارس، ورام جعل إشارات إمام الملحد ابن سينا مكان القرآن، فلم يقدر على ذلك، فقال هي قرآن الخواص، وذلك قرآن العوام، ورام تغيير الصلاة وجعلها صلاتين فلم يتم له الأمر، وتعلم السحر في آخر الأمر، فكان ساحراً يعبد الأصنام.

وصارع محمد الشهرستاني ابن سينا في كتابه سباه «المصارعة» أبطل فيه قوله بقدم العالم وإنكار المعاد، ونفى علم الرب تعالى وقدرته وخلقه للعالم، فقام له نصير الإلحاد وقعد، ونقضه بكتاب سباه «مصارعة المصارعة»، ووقفنا على الكتابين -نصر فيه: أن الله تعالى لم يخلق السموات والأرض في ستة أيام. وأنه لا يعلم شيئاً، وأنه لا يفعل شيئاً بقدرته واختياره، ولا يبعث من في القبور.

(١) (٢٦٣/٢).

تَأْوِيلُهُ وَمَا يَكُنْ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالزَّيْغُونَ فِي أَلْبَاسٍ يَقُولُونَ مَا نَكُنَّ بِهِمْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّكَ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ^(١)

وقول الرسول ﷺ عقب تلاوتها: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَلَا تُؤْنِكُ الَّذِينَ سَمَى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ»^(٢).

ونسي قول الرسول ﷺ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى تُلَاقُوا جَحْرَ ضُبٍّ تَسْلُكْتُمُوهُ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى قَالِ هُمُنَّ»^(٣).

وقد حصل هذا من فِرَق الضلال الذين يدافع عنهم هذا القاسمي.

ونسي قول رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ افْتَرَقُوا فِي دِينِهِمْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِثْلَةً وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِثْلَةً يَعْنِي الْأَهْوَاءُ كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ»^(٤).

وقد حصل هذا، وصنف في ذلك العلماء المصنفات من أهل السنة ومن غيرهم. ونسي قول رسول الله ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مِنْ خَدَلْتُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»^(٥).

وقد شهد أعلام الأمة لأهل الحديث والسنة بأنهم هم الطائفة المنصورة.

(١) سورة «آل عمران»، الآية [٧].

(٢) أخرجه البخاري حديث [٤٥٤٧]، ومسلم حديث [٢٦٦٥].

(٣) أخرجه البخاري حديث [٧٣٢٠]، ومسلم حديث [٢٦٦٩].

(٤) أخرجه أحمد (١٠٢/٤).

(٥) أخرجه البخاري حديث [٣٦٤١]، ومسلم حديث [١٩٢٠].

وبالجملية فكان هذا الملحد هو وأتباعه من الملحد الكافرين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر».

٥- ويقول القاسمي في «ميزانه» (ص ١٤) في دفاعه عن القدرية وغيرهم:

«وحاشا لمؤمن عالم أن يخالف كتاباً أو سنة عامداً متعمداً، فهم مجتهدون مثابون، إذ لم يألوا جهداً فيما ذهبوا إليه».

وهذا رد لعقيدة أهل السنة في أهل الأهواء، وأنهم يخالفون نصوص الكتاب والسنة وما عليه الصحابة ومن اتبعهم بإحسان، ويطعنون في أهل السنة، ويذمونهم أشد الذم لتمسكهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٦- ويرى أن مجتهد كل فرقة من فِرَق الإسلام مأجورون أصابوا أو أخطأوا بنص الحديث النبوي.

ونسي المسكين تحذير رسول الله ﷺ من أهل الأهواء والبدع ومنهم الخوارج، الذين ذمهم رسول الله ﷺ أشد الذم في عدد من الأحاديث الصحيحة، ومن ذلك وصفه لهم بأنهم «شر الخلق والخليقة»، وأنهم «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»، ومن ذلك حثه ﷺ الأمة على قتلهم أين وجدوا، وقد قاتلهم الصحابة وعلى رأسهم الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي كفره الخوارج، وكفروا كثيراً من الصحابة وعلى رأسهم الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم ذهبوا يكفرون المسلمين بالذنوب مخالفين بذلك نصوص الكتاب والسنة.

ونسي هذا الرجل قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ تُحْكِمُكَ هُنَّ أَمْ الْكِتَابَ وَأُخْرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ

وقد حذر رسول الله ﷺ الفرقة الناجية المنصورة بأنهم من كانوا على ما عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وأما باقي الفِرَق فيصدق عليهم الوعيد بالنار.

ونسي اتفاق أئمة الإسلام ومن وراءهم من أهل السنة على ذم وتضليل الخوارج والجهمية والمعتزلة والمرجئة وغلاة النصف وتضليل سائر الفرق الذين نص عليهم الحديث النبوي وآمن به العلماء ونزلوه على الفِرَق الاثنتين والسبعين.

فذهب هذا المسكين إلى مخالفة الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة فيمدح المذمومين المضالين، ويطعن ويشوه أهل السنة الثابتين، ويرميهم بالجهل والتعصب والغلو والتقليد... الخ.

وسار على هذا المنهج الباطل ونسج على منواله أبو الحسن الماربي وعدنان عرعور وعلي حسن عبد الحميد في حرب أهل السنة وإسقاط علمائهم ورميهم بالغلو والدفاع عن أهل الباطل والبدع واختراع الأصول الفاجرة لهذا الدفاع المخزي واعتبارهم أهل البدع من أهل السنة.

حتى وصل بهم الأمر إلى الدفاع عن يقول بوحدة الوجود، ويطعن في أصحاب رسول الله ﷺ ويعطل صفات الله، ويفعل هذا أبو الحسن وعدنان عرعور وينصرهما ويؤيدهما ويدافع عنهما ويتولاهما علي حسن عبد الحميد وحزبه.

ثم يتحذر أبو الحسن فيدافع بالكذب والخيانات عن أهل وحدة الأديان وحرية الأديان وأخوة الأديان، ويستمر علي حسن ومن جرى مجراه في الذب عنه وإسقاط العلماء الذين ينصحونه ويبينون انحرافه.

ثم ينحدر علي حسن وحزبه إلى مدح وحدة الأديان وأخوة الأديان وحرية الأديان ومساواة أهل الأديان وضلالات أخرى، ويمدح من يؤيد هذه الضلالات، ويدعو إليها، ويبالغ في مدحهم على اختلاف مذاهبهم من روافض وصوفية وعلانيين، فيصنفهم بأنهم علماء ثقات وحكام أئمة.

ويمدح من يدافع عن هذه الضلالات ويجارب من ينتقدها من أهل السنة^(١). ومع كل هذه الضلالات يوجد من يتولاهاهم ويدافع عنهم ويطعن فيمن ينتقدهم، فزادوا الإسلام غربة على غربة.

فكان ينبغي للدكتور إبراهيم أن ينصر أهل الحق، وأن يبين حال هؤلاء ومنهجهم وأصولهم نصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم وليتميز أهل الحق من أهل الباطل، فيعرف المسلم أهل الباطل فيحذرهم، ويعرف أهل الحق فيأوي إليهم.

قال الدكتور إبراهيم في (ص ١٣-١٤):

«ثانيًا. ينبغي أن يعلم أن أهل السنة بحق هم أهل الامتثال الكامل للإسلام اعتقادًا وسلوكًا، ومن قصور الفهم أن يظن أن السني أو السلفي هو من حقق اعتقاد أهل السنة دون العناية بجانب السلوك والأداب الإسلامية وتادية حقوق المسلمين فيما بينهم.

(١) لا نجد منك مقال علي حسن الذي أعلن فيه تكفير من يقول بوحدة الأديان وما إليها، فإنه ذو ألوان، فقد كثر أهلها في تاريخ سابق، ثم لما ظهرت رسالة تتضمن وحدة الأديان وأخوة الأديان وحرية الأديان ومساواة أهل الأديان إلى ضلالات أخرى مدحها وأشاد بها واعتبرها شارحة للإسلام وأنها تمثل وسطية الإسلام، ولما انتقد السلفيون هذه الضلالات دافع عنها هو وحزبه دفاعًا مريبًا وطعنوا فيمن ينتقد هذه الضلالات، وأثنى على هذا الدفاع وأهلها، وأثنى على من أبدى هذه الضلالات وهم عدد كثير من الروافض وغلاة الصوفية والعلانيين، ولم يتراجع عن شيء من ذلك إلى يومنا هذا. وفي هذه الأيام أعلن عدنان عرعور الدعوة إلى وحدة الأديان فلم يزد ذلك وجدان الخليي وكان شيئًا لم يكن بل بعد هذا الإعلان شاركه في ندوة في قناة وصال فهل يصدق الخليي في دعواه أنه يكفر من يقول بوحدة الأديان؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في نهاية العقيدة الواسطية بعد أن ذكر أصول أهل السنة في الاعتقاد: «ثم هم مع هذه الأصول: يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة، ويرون إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء أبرارًا كانوا أو فجارًا ويحافظون على الجماعات، ويدينون بالنصيحة لأئمة ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا» وشبك بين أصابعه. وقوله: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر».

ويأمرون بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمر القضاء. ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال. ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا».

ويندبون إلى أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك. وتعفو عمن ظلمك ويأمرون ببر الوالدين وكذا يأمرون بصلة الرحم. وحسن الجوار. وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق، ويأمرون بمعالي الأخلاق وينهون عن سفاسفها.

وكل ما يقولونه ويفعلونه من هذا وغيره فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة وطريقتهما هي دين الإسلام الذي بعث الله به محمدًا ﷺ. اهـ [العقيدة الواسطية] (ط: أضواء السلف، ص ١٢٩، ١٣١).

أقول:

من حقق اعتقاد أهل السنة وسار على منهجهم ولأه وبراء، وحصل منه قصور في الأخلاق لا يخرج عن دائرة أهل السنة إلى دائرة البدعة، وما عرفنا عن أهل السنة تبديع من يقصر في الأخلاق، وحتى لو وقع السني في بعض المعاصي لا يخرج بذلك عن دائرة السنة.

٢- ومع هذا فأهل السنة المعاصرون كأسلافهم يعتقدون العقائد الصحيحة، ويسرون على المناهج الشرعية العظيمة، ويقومون بهذه الأعمال العظيمة والأخلاق الكريمة التي لا يلحقهم فيها فرق الفتن والضللال.

ولكن أهل الفتن والإفك يرمونهم ظلماً وبغياً بأنهم لا أخلاق لهم أو أنهم ضعيفو الأخلاق، وهذا العمل الإجرامي ضد أهل السنة ليس وليد اليوم، بل هو تكرار لافتراء أهل الباطل من المعتزلة وغيرهم، وعلى رأسهم الجاحظ والنظام، وهؤلاء المقترون على أهل السنة السابقين واللاحقين هم أحط الناس أخلاقاً من الكذب والغش والبهت في أقوالهم وأفعالهم، وهذه الأخلاق الرديئة يتحلى بها خصوم أهل السنة اليوم ولكل قوم وارث، ولا سيما الذين يلبسون لباس السلفية ممن أشرنا إليهم في صدر هذا البحث.

قال الدكتور إبراهيم في (ص ١٥-١٦):

«ثالثًا. إن من المقاصد العظيمة التي حث عليها الإسلام هداية الخلق إلى هذا الدين كما قال النبي ﷺ: «لعلني لما بعثته إلى خير: لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم» أخرجه الشيخان، (البخاري برقم ٤٢١٠)، ومسلم برقم ٢٤٠٦).

فعلى من من الله عليهم بالهداية إلى السنة أن يحرصوا على دعوة من ضل عن السنة أو قصر فيها إلى تحقيق السنة، وأن يبذلوا كل الأسباب الممكنة في هداية الناس وتقريب قلوبهم لقبول الحق، وذلك:

بمخاطبة المدعويين باللين كما قال تعالى في خطابه لموسى وهارون: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ قَوْمَيْكَمَا إِنَّهُمَا ظَالِمٌ أَعْمَىٰ﴾ ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّاهُمَا يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾^(١). فامر الله من أخبر عن طغيانه، وعلم أنه يموت على الكفر باللين، فكيف بمن هو دونه من أصحاب

المخالفات من المسلمين؟

(١) سورة طه، الآية ٤٣ - ٤٤.

وكذلك مخاطبة المدعويين بالانقباض التي تتناسب مع مكانتهم، وقد كتب النبي ﷺ إلى هرقل بقوله: «إني هرقل عظيم الروم»، وكان يكتي عبد الله ابن أبي (بابي الحباب).

وكذلك مراعاة الصبر على جفاء المدعويين ومقابلتهم بالإحسان. وعدم استعجال استجابتهم: ﴿قَالَ النَّبِيُّ: «فَأَمِيرٌ كَمَا صَبَرَ أَوْلُوا الْعَرَبَ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لِمَنْ أَمَرْتُ»^(١).

أقول:

إن اللين والرفق والصبر لأمر مهم جدًّا، ولا سيما في مجال الدعوة إلى الله، لكن بقي عليك أمر آخر وهو ما إذا لم تجد هذه الأخلاق العظيمة عند بعض أهل الباطل من الكفار وغيرهم فالشدة تكون حينئذ هي الحل وفيها الحزم وإبراز قوة الحق، قال النبي ﷺ: ﴿يُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(٢)، وقال النبي ﷺ: ﴿يَأْتِيَا النَّبِيَّ جَهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُتَّقِينَ وَأَعْلَفَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَدُهُمْ جَهَنَّمُ وَرِشَ النَّصِيرِ﴾^(٣)، وقال النبي ﷺ: ﴿يَتَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ عَنْ رَبِّهِمْ فَيَقُولُ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٤).

وقال النبي ﷺ: ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَقُولُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَفُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٥).

(١) سورة الأحقاف، الآية [٣٥].

(٢) سورة الفتح، الآية [٢٩].

(٣) سورة التوبة، الآية [٧٣].

(٤) سورة المائدة، الآية [٥٤].

(٥) سورة التوبة، الآية [١٢٣].

وحث رسول الله ﷺ شعراء أصحابه على هجاء قريش، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَهْجُوا قُرَيْشًا فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ» فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ، فَقَالَ: «أَهْجُهُمْ»، فَهَجَاهُمْ، فَلَمْ يُرْضَ، فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ حَسَّانُ: «قَدْ أَنْ لَكُمْ أَنْ تُرْسَلُوا إِلَى هَذَا الْأَسَدِ الضَّارِبِ بِدَنْيِهِ، ثُمَّ أَدْلَعَ لِسَانَهُ، فَيَجْعَلُ يُجَرِّكُهُ، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَقْرَيْتُهُمْ بِلِسَانِي قَرَى الْأَدِيمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَعْجَلْ فَإِنَّا بَايَعْنَاكَ أَنْ تَقْرِيَهُمْ بِأَسْنَانِيهَا، وَإِن لِي فِيهِمْ نَسَبًا حَتَّى يُلْغِصَ لَكَ نَسَبِي»، فَأَتَاهُ حَسَّانُ، ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ حَقَّصَ لِي نَسَبَكَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا سُمِّلَكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةَ مِنَ الْحَجِينِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِحَسَّانَ: «إِنْ رُوحُ الْبَرِّ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحَتْ عَنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ» وَقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَتَشَفَّى وَاشْتَفَى^(١).

وعن البراء بن عازب قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ: «أَهْجُهُمْ أَوْ هَاجِهِمْ وَجَبْرِيلُ مَعَكَ»^(٢).

فإذا استطال أهل الباطل على أهل الحق بالطعن والتشويه والأكاذيب وملح أهل الباطل فلا يسع أهل الحق إلا تمنع أهل الباطل وبيان ظلمهم وافتراءهم وكشف أباظليهم.

والقرآن والسنة فيهما الدعوة إلى الرفق واللين، وفيهما الشدة على اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين، بل حتى على العصاة من المسلمين، هذا إذا لم ينفع الرفق واللين والغفو والصفح.

(١) أخرجه مسلم في «فضائل الصحابة» حديث [٢٤٩٠].

(٢) أخرجه البخاري في «بدء الخلق» حديث [٣٢١٣]، ومسلم في «فضائل الصحابة» حديث [٢٤٨٦].

فهذا أمر حث عليه القرآن كما ترى، لا ينبغي إغفاله في هذا المقام.

والآيات والأحاديث الكثيرة الحاثية على الجهاد معروفة وكلها واردة في هذا المجال، فكان يجب عليكم بيان هذا الأمر المهم.

قال الشاعر الإسلامي:

دعا المصطفى دهرًا بمكة لم يُجب وقد لان منه جانب وخطاب
فلما دعا والسيف صلت بكفه له أسلموا واستسلموا وأتابوا

قال الدكتور إبراهيم في (ص ١٧-١٨):

«رابعًا - ينبغي لطلبة العلم - خصوصًا الدعاة منهم - أن يفرقوا بين المداراة والمداينة، فالمداراة مطلوبة وهي متعلقة باللين في المعاملة، جاء في «لسان العرب» (٢٥٥/١٤): «مداراة الناس ملاينتهم وحسن صحبتهم واحتمالهم لئلا ينفروا منك»، والمداينة مذمومة وهي متعلقة بالدين قال الشاعر: ﴿وَدُّوا لَوْ تَدْرِينُ فَيَذَرُوكَ﴾^(١). قال الحسن البصري في معنى الآية: «ودوا لو تصانعهم في دينك فيصانعون في دينهم» [تفسير البغوي] (١/٣٧٧).

فالمداري يلين في المعاملة من غير أن يتنازل عن شيء من دينه، والمداين يتقرب للناس بترك شيء من الدين، وقد كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقًا وارفقهم بالأمة، وهذا يمثل جانب الرفق واللين من هديه، وكان أقوى الناس في دين الله فلا يترك شيئًا منه لأحد كائنًا من كان، وهذا يمثل جانب قوة التمسك بالدين الذي يتنافى مع المداينة.

فعلى طلبة العلم مراعاة الفرق بين الأمرين، فإن من الناس من قد يظن أن مداراة الناس والرفق بهم ضعف في الدين وتضييع، بينما يظن فريق آخر أن من

(١) سورة «العلم»، الآية [٩].

الرفق بالناس إقرارهم على الباطل، والسكوت عن الأخطاء، وكلا الفريقين مخطئ تائه عن الحق، فليتنبه لهذا الأمر فإنه مزلق خطير لا يُعصم منه إلا من وفقه الله وهداه.

أقول:

١ - هذا الكلام في التفريق بين المداراة والمداينة كلام جيد^(١)، لكن هناك من يفرق في المداينات ويرى أن هذا من الحكمة وليس من المداينة.

٢ - هناك أناس مع الأسف يفتاتلون من الرد على أهل الباطل والأخطاء، ويتحمسون لمواالهم والذب عنهم، ويجفون ويتكبرون لمن يردون الباطل والأخطاء، ويخذلونهم أشد الخذلان، ويوهمون الناس أن هذا من الرفق والحكمة، وهذا من أشد أنواع البلاء والمحن؛ الأمر الذي جرأ أهل الباطل على التباذي في باطلهم ونشر فتنتهم على مستوى العالم، ولبت هذا الصنف يدركون عواقب مواقفهم الخطيرة، نسأل الله لهم الهداية والبصيرة وإدراك واجبهم في نصرة دعوة محمد ﷺ، ولا تأخذهم في ذلك لومة لائم.

قال الدكتور إبراهيم في (ص ١٩):

«خامسًا - للداعية في دعوة الناس مسلكان شرعيان دلت عليهما النصوص:

مسلك التأليف والترغيب، ومسلك الهجر والترهيب، ويخطئ من يعمم أحد المسلكين مع كل أحد، بل يسلك مع كل مخالف ما هو أرجى في قبوله للحق ورجوعه للصواب.

فإن كان التأليف هو الأنفع للمخالف والأرجى في إصلاحه فهو المشروع في حقه، وإن كان الهجر هو الأنفع فهو المشروع في حقه.

(١) ومع هذا فإنه يحتاج إلى توضيح أكثر وإلى سوق الأدلة الكافية؛ لبيان الأمرين، فإن كثيرًا من الناس لا تكفيهم الإشارات أو العبارات الموجزة.

فمن سلك مسلك التأليف مع من يشعر في حقه الهجر فهو مقصر مفرد، ومن سلك مسلك الهجر مع من يشعر في حقه التأليف؛ فهو منفر متشدد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذا الهجر يختلف باختلاف المهاجرين في قوتهم وضعفهم وقتلتهم وكثرتهم؛ فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه، ورجوع العامة عن مثل حاله، فإذا كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفيته^(١) كان مشروعًا، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك، بل يزيد الشر والهاجر ضعيف بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته ثم يشعر الهجر، بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر، والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف، ولهذا كان النبي ﷺ يتألف أقوامًا ويهجر آخرين.

وهذا كما أن المشروع في العدو القتال تارة، والمهادنة تارة، وأخذ الجزية تارة، كل ذلك بحسب الأحوال والمصالح، وجواب الأئمة كأحمد وغيره في هذا الباب مبني على هذا الأصل» [مجموع الفتاوى] (٢٠٦/٢٨).

ويقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مبيِّنًا خطأ تعميم الهجر أو التأليف دون مراعاة الأصل السابق: «فإن أقوامًا جعلوا ذلك عامًا فاستعملوا من الهجر والإنكار ما لم يؤمروا به فلا يجب ولا يستحب، وربما تركوا به واجبات أو مستحبات وفعلوا به محرمات، وآخرون اعرضوا عن ذلك بالكلية فلم يهجروا ما أمروا بهجروه من السيئات البدعية» اهـ [مجموع الفتاوى] (٢١٣/٢٨).

أقول:

وتمام كلام شيخ الإسلام ما يأتي:

«بل تركوها ترك المعرض لا ترك المنتهى الكاره، أو وقعوا فيها، وقد يتركونها

(١) لعله: وخفته.

ترك المنتهى الكاره، ولا يتهون عنها غيرهم، ولا يعاقبون بالهجرة ونحوها من يستحق العقوبة عليها، فيكونون قد ضيعوا من النهي عن المنكر ما أمروا به إيجاباً أو استحباباً، فهم بين فعل المنكر أو ترك النهي عنه، وذلك فعل ما نهوا عنه وترك ما أمروا به، فهذا هذا، ودين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه. والله سبحانه أعلم.

أقول، وهنا أمران ينبغي التنبيه لهما:

أولهما - من هو الذي يقدر المصلحة الرجعة أو العكس؟

ثانيًا - ينبغي أن تعلم ويعلم الناس أن في هذه الفتنة التي تعالجها إنما الذي يبدأ بالمحجر هو من يثير الفتن والشغب.

فلقد وقع المغراوي في فتنة طويلة الذبول أنكرناها عليه فناصرناه وناصحه العلماء وصبرنا عليه كثيرًا، فلم يرجع عن باطله، ثم فاجأنا بأمر غريب وهو حث أتباعه -الذين درستهم مدة طويلة- بهجري ومقاطعة دروسي وهجر تلاميذي، فنفضوا ذلك، ولم يكتفوا بالمحجر، بل جاءوا بما هو أشد منه، وهو إثارة الفتن والشغب على السلفيين في بلاد الحرمين وفي غيرها من البلدان كالإمارات.

وكان الطلاب السلفيون يشكون من تحركات هؤلاء المتحيزين فأمرهم بالصبر والإعراض عنهم، ثم هم لا يزالون على حالهم هذه من سنوات، لا يرجعون عن باطلهم، بل أضافوا إلى ذلك حربهم لأهل السنة في شبكات الإنترنت، هذا مع انسجامهم مع أهل البدع والضلال.

ثم وقع أبو الحسن وحزبه في فتنة أكبر وأشد، قد بيتها في عدد من الكتب، وبعد مناصحات طويلة وعدم استجابتهم لمناصحات العلماء ومقاديهم في الباطل بدؤوا بالمحجر، ومع كل هذا وغيره يرمى ربيع والسلفيون بأنهم هم الذين يرتكبون الهجر المذموم، فأين الإنصاف وأين العقول؟

وليعلم المنصفون العقلاء أن هذا الصنف الذي ابتلي به السلفيون من لا يجدي معهم لا الرفق ولا اللين، ولا تردعهم القوة، فهم من أشد الناس عنادًا ومقاديًا في الباطل والفتن، ومع ذلك يجدون من يؤويهم ويتباكى لهم.

قال الدكتور إبراهيم في (ص ٢١):

«سادسًا - يشرع الهجر لثلاثة مقاصد شرعية^(١)؛ دلت عليها الأدلة وقررها الأئمة المحققون من أهل السنة.

المقصد الأول: الهجر لمصلحة المهاجر فللمسلم^(٢) أن يهجر كل من يتضرر بمجالستهم من المخالفين؛ كاهل البدع والمعاصي الذين يتضرر بمجالستهم في دينه.

وقد دل على هذا حديث أبي موسى الأشعري المخرج في الصحيحين، عن النبي ﷺ قال: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك^(٣)، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة» أخرجه البخاري برقم (٣١٠١)، ومسلم برقم (٢٦٢٨).

ففي هذا الحديث توجيه من النبي ﷺ لمجالسة الصالحين؛ لما فيها من النفع المتعدي لجلسائهم، وتحذير من مجالسة السيئين؛ لما يلحق بمجالستهم من الضرر في الدين».

(١) حصر الدكتور مقاصد الهجر الشرعية في ثلاثة مقاصد، وسيأتي بيان المهم منها في حينه.

(٢) ينبغي أن يقال: فعل المسلم... الخ.

(٣) سقط عليك من هذا الحديث: «وإما أن تبتاع منه».

أقول،

أضف إلى هذا الحديث الشريف ذم الله لأهل الزيف وبيانه لحالهم وأنهم يتقصدون الفتن، هذا مع تحذير رسول الله ﷺ منهم، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولَئِكَ أَلَا يَتَذَكَّرُ﴾^(١).

وقال ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ»^(٢).

فستفيد من هذه الآية وهذا الحديث وغيرهما من الأدلة أن المقصد من ذم أهل البدع والتحذير منهم مصلحة المهاجرين ولو كانوا علماء.

فليفهم هذا، وهذا الذي يفهمه السلف الصالح وطبقوه هجرًا وتحذيرًا وبياناتًا لضلالهم وأحكامًا عليهم وعليها، والله لا نلحقهم في هذا التطبيق.

وكم هو البون شاسعًا بيننا وبينهم، ومع هذا البون الشاسع نرمي بالغلو والتشدد.

فما هي نظرتهم إلى السلف الصالح ومنهجهم وتطبيقهم وأحكامهم؟ فليفهم الفطناء.

قال الدكتور إبراهيم في (ص ٢٢-٢١):

«وبهذا يتبين مشروعية مهاجرة من يخشى من مجالسته الضرر على الدين من سائر أصحاب المخالفات، وأما من لا يخشى على نفسه الضرر بمجالسة المخالفين؛

(١) سورة «آل عمران»، الآية [٧].

(٢) أخرجه البخاري حديث [٤٥٤٧]، ومسلم حديث [٢٦٦٥].

كأهل العلم الذين يرجى انتفاع المخالفين بهم من غير ضرر يلحق العالم في دينه، هؤلاء لا تشرع في حقهم المهاجرة؛ بل قد يكون المشروع لهم مجالسة^(١) هؤلاء المخالفين إن تحققت بذلك مصلحة راجحة.

المقصد الثاني: الهجر لمصلحة الأمة، فيشرع هجر من في هجره نفع متعدي للأمة، كهجر بعض أصحاب المخالفات بحيث يؤثر هجرهم في زجر غيرهم عن فعل مثلمهم.

وشاهد هذا من السنة: ما أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالرجل المتوفى عليه الدين فيسأل: «هل ترك فضلاً؟» فإن حدث أنه ترك وفاءً؛ صلى وإلا قال للمسلمين: «صلوا على صاحبكم».

فالتبني إنما ترك الصلاة على هذا الرجل وهو صاحب الدين الذي لا وفاء له؛ من أجل زجر الناس عن مثل فعله، كما قرر هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أما من كان مظهرًا للفسق مع ما فيه من الإيمان؛ كأهل الكباير، فهو لا بد أن يصلي عليهم بعض المسلمين، ومن امتنع من الصلاة على أحد منهم زجرًا لأمثاله عن مثل ما فعله -كما امتنع النبي ﷺ عن الصلاة على قاتل نفسه، وعلى الغال، وعلى المدين الذي لا وفاء له، وكما كان كثير من السلف يمتنعون من الصلاة على أهل البدع- كان عمله بهذه السنة حسنة».

أقول،

إن شيخ الإسلام يريد أن يقرر أن الصلاة على الفساق ونحوهم مشروعة، لكن من السنة الحسنة أن يمتنع من يقتدى به من العلماء عن الصلاة على أهل البدع والفسق.

(١) لو قلت: المشروع دعوة أهل الأهواء والمعاصي إلى الله فإن تحققت المصلحة بأن استجابوا فذاك، وإلا فقد قامت عليهم الحجة.

ومن هنا احتج بامتناع إمام الأمة رسول الله ﷺ عن الصلاة على قاتل نفسه وعلى الغال وعلى المدين، وأعتقد أن هذا قصدك، ولكن في كلامك شيء من الغموض، وعلى كل فهذا المقصد مهم جداً؛ لأن في القيام به حياة للأمة من مكاييد أهل البدع والأهواء ومن شُرور أهل الفساد والفسق.

وسد ذرائع الفتن وأسبابها من أهم الأصول التي وردت فيها نصوص كثيرة أوصلها الإمام ابن القيم في «إعلام الموقعين» إلى تسعة وتسعين نصاً، وألف شيخ الإسلام في ذلك كتاباً.

قال الدكتور إبراهيم في (ص ٢٣-٢٤):

«المقصد الثالث: الهجر لمصلحة المهجور (صاحب المخالفة) فيشرع هجر أصحاب المخالفات من أهل البدع والمعاصي إن كان في هجرهم مصلحة لهم بالرجوع عن المخالفة والتوبة منها.

ويدل على هذا هجر النبي ﷺ لكعب بن مالك وصاحبيه حتى تابوا وندموا^(١) على ما هو ثابت في الصحيحين من حديث كعب بن مالك. أخرجه البخاري برقم (٦٢٥٥)، ومسلم (٢٧٦٩).

وشواهد ذلك كثيرة في سيرة النبي ﷺ، وكذلك هدي السلف المقتدين به في ذلك في هجر بعض المخالفين زجراً لهم وتأديباً.

وهذا النوع من الهجر، وهو الهجر لمصلحة المخالف مع كونه مشروعاً من حيث الأصل إلا أنه لابد من مراعاة الضوابط المتعلقة بتحقيقه وتنزيله على المعنيين من أصحاب المخالفات، وهو ما سيتم بيانه في الفقرة التالية.

(١) بل حصل منهم الدم والتربة منذ وصل النبي ﷺ من غزوة تبوك ومع ذلك استمر النبي ﷺ وأصحابه في هجرهم حتى نزلت توبتهم من السماء بعد خمسين ليلة.

أقول،

١- رجوع أهل البدع عن ضلالتهم من أصعب الصعوبات عليهم؛ لأنهم يرون أن بدعهم من الدين يتقربون بها إلى الله، هذا إلى جانب ما فيهم من العناد والاستكبار.

٢- إذا كان العالم مهتماً بمصلحة المهجور فيجهره زجراً له لعله يعود إلى الحق، فأعتقد فيه أنه يضع نصب عينيه مصلحة الأمة في الدرجة الأولى قبل مراعاته لمصلحة المهجور.

ولذا قل ما تجد السلف يراعون هذه المصلحة في مواقفهم ومقالاتهم ومؤلفاتهم. لذا ترى جل بل كل الأئمة لا يلتفتون فيه إلى هذه المصلحة الخاصة بالمهجور.

قال شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني في كتابه «عقيدة السلف أصحاب الحديث»^(١):

«ويقتدون بالسلف الصالحين من أئمة الدين وعلما المسلمين، ويتمسكون بما كانوا به متمسكين من الدين المتين والحق المبين.

ويغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يجوبونهم ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم ولا يجالسونهم، ولا يجادلونهم في الدين ولا ينظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرت بالأذان وقرت في القلوب صرّت وجرت إليها من الوسواس والخطرات الفاسدة ما جرت، وفيه أنزل الله عز وجل قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾^(٢).

(١) (ص ١١٤-١١٥).

(٢) سورة الأنعام، الآية [٦٨].

وقال الإمام بغوي رحمه الله في «شرح السنة»^(١) خلال شرحه؛ لحديث كعب بن مالك رضي الله عنه في تحلف الثلاثة عن غزوة تبوك ومنهم كعب رضي الله عنه:

«وفيه دليل على أن هجران أهل البدع على التأبيد، وكان رسول الله ﷺ يخاف على كعب وأصحابه النفاق حين تحلفوا عن الخروج معه، فأمر بهجرانهم إلى أن أنزل الله توبتهم، وعرف رسول الله ﷺ براءتهم، وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم، وعلما السنة على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدعة، ومهاجرتهم».

٣- قلت: «وشواهد ذلك كثيرة في سيرة النبي ﷺ، وكذلك هدي السلف المقتدين به في ذلك في هجر بعض المخالفين زجراً لهم وتأديباً»^(٢).

فليتك ذكرت كثيراً من هذه الشواهد ليكون الشباب على بصيرة من أمرهم.

قال الدكتور إبراهيم في (ص ٢٥):

«سابقاً. ينبغي للنظر في مسألة هجر المخالف للمقصد الثالث من مقاصد الهجر وهو هجر المخالف لمصلحته وإصلاحه. مراعاة الضوابط الشرعية التي نص عليها الأئمة المحققون في هذا الباب والتي من خلالها يتبين على وجه الدقة من يشرع هجره ممن لا يشرع هجره من المخالفين ومن هذه الضوابط:

١- ما يتعلق بالهاجر: وهو أن يكون قوياً مؤثراً بحيث يؤثر هجره في زجر المخالف، أما إن كان ضعيفاً فإن هجره لا يؤدي الغرض، وهذا إذا كان المقصود من الهجر هو تأديب المخالف، أما إن كان المقصد هو النظر لمصلحة الهاجر بحيث يخشى عليه الضرر في دينه من مخالطة المخالف فله أن يهجر كل من يتضرر بمجالسته ومخالطته، كما تقدم تقرير ذلك».

(١) (١/ ٢٢٦-٢٢٧).

(٢) ونصاً وحماية للمسلمين من ضررهم وفتنهم.

أقول، ما أكثر من يتأثر بأهل البدع والباطل فيقع في ضلالهم لا من العوام وطلاب العلم، بل من يدعى له ويعتقد فيه أنه عالم.

لذا كثر تحذير أهل العلم لعموم الناس من مجالسة أهل الباطل ومخالطتهم. ومن أقوال السلف: «إن البدع خطافة».

وكان جبال العلم من أمثال ابن سيرين وأيوب السخيتي يرفضون سماع كلام أهل البدع إذا طلب منهم ذلك، ولو كان المعروض عليهم قراءة القرآن، كل ذلك حفاظاً على عقائدهم وتجنباً للوقوع في الفتن، ولقد وقع عدد من كبار العلماء في حبال أهل الباطل كعبد الرزاق الصنعاني وقع في التشيع، ويعقوب بن شعبة وغيره وقعوا في فتنه الوقف في القرآن، والبيهقي تأثر بآب بن فورك فوقع في شيء من الأشعرية، وابن عقيل وقع في حبال المعتزلة، وكم وكم من المتسبين إلى العلم والمدعين للسلفية وقعوا في الفتنة بسبب مجالستهم وسماهم لأهل الباطل وقراءتهم لكتبهم، وفي ذلك عبرة كبرى وذكرى لقوم يعقلون.

قال الدكتور إبراهيم في (ص ٢٥-٢٧):

«٢- ما يتعلق بالمهجور: وهو أن ينتفع بالهجر بحيث يؤثر فيه في الرجوع إلى الحق، أما إذا كان لا ينتفع به بل قد يزيده بعداً وعناداً فلا يشرع هجره، وهذا يرجع إما إلى ما جُبل عليه بعض الناس من القوة والشدة وعدم الخضوع ولو كان في ذلك هلاكه، فمثل هذا لا ينتفع بالعقوبة والهجر وإنما قد ينتفع بالتأليف واللين، وقد يكون المؤثر في عدم انتفاع بعض الناس بالهجر بعض المؤثرات الخارجية كأن يكون صاحب رئاسة أو مال أو جاه، فمثل هؤلاء لا ينتفعون بالهجر في الغالب؛ لما يعتقدون من استغنائهم عن الهاجر إذا ما هجرهم، ولذلك كان النبي ﷺ يتألف السادة المطاعين في أقوامهم وأهل الجاه؛ كأبي سفيان، وعبيدة بن حصن، والأقرع بن حابس وأمثالهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا كان النبي ﷺ يتألف قوماً ويهجر آخرين، كما أن الثلاثة الذين خلفوا كانوا خيراً من أكثر المؤلفات قلوبهم لما كان أولئك كانوا سادة مطاعين في عشايرهم» اهـ (مجموع الفتاوى (٢٠٦/٢٨)).

٣- ما يتعلق بتبوع المخالفة: فليس هناك نوع من المخالفات يمكن أن يقال: يهجر عليها في كل حال، أو لا يهجر عليها في كل حال، كما يظن البعض أنه يهجر على البدع دون المعاصي، أو على البدع المكفرة دون غيرها، أو على الكبائر دون الصغائر، بل يشرع الهجر على كل مخالفة ولو كانت صغيرة إذا كان المخالف ممن يشرع هجره وينتفع بذلك.

فمدار النظر في هذه المسألة على انتفاع المخالف بالهجر من عدمه دون النظر في حجم مخالفته.

وبناءً على هذا: فقد يهجر الرجل الفاضل صاحب السنة على مخالفة يسيرة كما هجر النبي ﷺ بعض أصحابه على بعض المخالفات اليسيرة، وتركه ﷺ رد السلام على عمار بن ياسر رضى الله عنه حين تخلق بالزعران. أخرجه أبو داود في سننه (٤٦٠١)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، وتركه رد السلام على صاحب القبة حتى هدمها.

وقد يترك هجر بعض أصحاب المخالفات العظيمة ممن هم دون المهجورين في الفضل، ومن ذلك تألف النبي ﷺ للأقرع بن حابس وعيينة بن حصن، بل تألفه لبعض المنافقين كعبد الله بن أبي وأمثاله، وكل ذلك بحسب المصلحة ومراعاة الضوابط الأخرى في مسألة الهجر.

أقول:

١- لكن بقي قسم ثالث وهو الغالب من أهل البدع من عصور.

وهو ما إذا كان هذا المبتدع (الذي تسميه بالمخالف) لا يتفع فيه الهجر ولا اللين ولا التأليف، وهو يدعو إلى بدعته، أو مبتدع آخر أخطر وأنشط منه وهو يدعو الناس إلى البدع والضلال وله أنصار وأتباع يدعون إلى البدع والضلال ولهم مدارس ومناهج وهم أهل عناد ومكابرة وتماد في غيهم وضلالهم كما هو الواقع، فما هو حكم الله فيهم؟

هل يجب أو يجوز السكوت عنهم أو يجب هجرهم وتحذير الناس منهم ومن بدعهم وضلالهم؟

أعتقد أنك لا تخالف في مشروعية هجرانهم وبيان ضلالهم ونقد ضلالاتهم بالحجج والبراهين، وهذا من منهج السلف الصالح.

٢- قولك: «وبناءً على هذا: فقد يهجر الرجل الفاضل صاحب السنة على مخالفة يسيرة».

واستشهادك بقصة عمار رضى الله عنه أقول: هذا كلام جيد.

لكن لو فعل هذا أحد اليوم مع مدّع للسنة فضلاً عن رجل فاضل فماذا سيواجه هذا الإنسان؟، وهذا يجزونا إلى عدد من الأسئلة، والواقع اليوم يثيرها:

١- هل هناك أحد عارض رسول الله ﷺ في هجران عمار أو هجران الثلاثة أو غيرهم عن هجرهم النبي ﷺ؟

٢- هل قام معارضون لعمر رضى الله عنه في ضربه لصبيغ مرات وأمر الناس بهجرانه؟

٣- هل عارض أحد من أهل السنة في قتل الخوارج وبيان ضلالهم وبيان خطيرهم؟

٤- هل كانت توجد معارضات من أهل السنة لمن كان يهجرهم الإمام أحمد ابن حنبل وغيره ويجذرون منهم كما هو الحاصل الآن تقوم جهات للمعارضات، بل والنشوية لأهل الحق والسنة، ويجد المعارضون أنصاراً ومؤيدين باسم السنة وباسم منهج السلف.

أقول هذا لألفت نظرك ونظر القراء إلى الواقع المؤلم الذي يرتكبه كثير من المتلبسين بالسنة، والذين يجدون لهم أنصاراً ومؤيدين فتقوى بذلك شوكتهم وتكاثف أضرارهم.

٥- ما الذي استفاده الإسلام وأهل السنة من مجاملات أهل البدع والضلال ومن مجاملات من يدافع عنهم، بل وتوليّه والدفاع عنه؟

٦- قد يقال: وما الذي استفاده الإسلام وأهل السنة من هجران أهل الباطل والتحذير منهم؟

والجواب: أن لذلك فوائد كثيرة، منها أن المسلمين وخاصة عوامهم يستفيدون معرفة أن المهجور على باطل وضلال فيحذرونه، ويزدادون تمسكاً بالحق، ويستفيد المهاجر أنه قد حقق خيراً كثيراً، من ذلك:

(أ) قيامه بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(ب) قيامه بأصل الولاء والبراء.

(ج) قيامه بواجب النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم.

ثم نيله الثواب العظيم على قيامه بهذه الأصول العظيمة.

وهذه الأصول العظيمة والمقاصد الكريمة لها أدلتها وبراهينها في الكتاب والسنة.

وفي الكتاب الذم الشديد لمن لا يقوم بها، وهي معلومة لدى العلماء وطلاب العلم.

فكان ينبغي أن تذكر على رأس المقاصد ولا ينبغي إغفالها.

(د) أن من يسكت عن أهل الباطل أو يدافع عنهم أو يداينهم يقع في عدد من المخالفات العظيمة منها ما يناقض ما سلف، ومنها التعاون على الإثم والعدوان مع أهل الباطل وخذلان الحق وأهله، بل والطنن فيهم.

٧- أن مجاملة بعض من أهل السنة لمن وقع في الفتن والأباطيل باسم التأليف لهم أو باعتبارهم من أهل السنة لم يفد الإسلام شيئاً، بل زاد ذلك أهل الباطل عتواً وكبرياء وتمادياً في أباطيلهم.

بل أضافوا إليها ما لا يخطر على بال ولا يدور بخيال.

ألا وهو دفاعهم عن دعاة وحدة الأديان وأخوة الأديان ومساواة الأديان وحرية الأديان إلى مخازن لا يتسع لذكرها المقام.

وهي معلومة عند أهل السنة المجاهدين المناضلين عن الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح.

قولك (ص ٢٨-٢٩):

«٤- ما يتعلق بالزمان والمكان الذي تحصل فيه المخالفة: فيضرب بين الأماكن والأزمان التي تكثر فيها المخالفات والمنكرات وتقوى شوكة أهلها، وبين الأماكن والأزمان التي تقل فيها المخالفات وتضعف شوكة أهلها، فإن كانت الغلبة في الزمان والمكان لأهل السنة فيشرع الهجر مع مراعاة الضوابط الأخرى، لأن المخالف ضعيف فيحصل له الزجر بذلك، كما قال الله تعالى في كعب بن مالك وصاحبيه:

﴿حَتَّىٰ إِذَا حَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾^(١).

وكما حصل الزجر والتأديب في هجر عمر والأمة لصبيغ بن عسل على ما هو معلوم.

وأما إذا كانت الغلبة في الزمان أو المكان لأهل الشر والباطل فلا يشرع الهجر إلا في الأحوال الخاصة؛ لأن الهجر لا يحقق مقصده من التأديب والزجر بل ربما تضرر بذلك أهل الحق.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا يفرق بين الأماكن التي كثرت فيها البدع كما كثر القدر في البصرة والتنجيم^(٢) بخراسان والتشيع بالكوفة، وبين ما ليس كذلك، ويفرق بين الأئمة المطاعين وغيرهم، وإذا عرف مقصود الشريعة سلك في حصوله أوصل الطرق إليه» اهـ «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٠٧-٢٠٦).

التعليق على هذا الكلام:

قولك: «إذا كانت الغلبة في الزمان أو المكان لأهل الشر والباطل فلا يشرع الهجر إلا في الأحوال الخاصة».

(أ) لم تبين هذه الأحوال الخاصة.

(ب) قولك: «لا يشرع»، يحتمل أنه لا يجوز إنكار المنكر في حال غلبة أهل الباطل في الزمان والمكان مهما كان نوع هذا المنكر ولو كان كفرًا وشرًا فهذا لا يسلم به. ويحتمل أن تريد بهذا القول أنه يرخص لأهل الحق بأن لا يواجهوا أهل الباطل الأقوياء في هذه الحال، فهذا لا يسلم به.

(١) سورة «التوبة»، الآية [١١٨].

(٢) الظاهر: والتجهم.

لكن كان ينبغي أن تحرر عبارتك وتوضحها لئلا يفهم منها ما لا تقصده.

(ج) إن الأنبياء ومن سار على نهجهم من العلماء يدعون إلى الحق والتوحيد، وينكرون الباطل والشرك في أي زمان ومكان، ولا يبالون بقوة أهل الباطل والشرك والضلال مهما بلغوا من القوة، والقرآن مليء بقصص الأنبياء التي واجهوا فيها أهل الشرك والكفر والكبرياء.

ومنها- مواجهة خليل الله إبراهيم للنمرود وقومه، ومواجهة كليم الله موسى لفرعون وقومه.

ومن مواجهات العلماء: مواجهة الإمام أحمد لدولة المأمون والمعتصم والواقع؛ الخلفاء العباسيين ومعهم القضاة والأمراء من رؤوس الجهمية والمعتزلة.

ومنها- مواجهة شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه كابن القيم وابن عبد الهادي وغيرهما للأشعرية والصوفية، والدولة والقوة بأيديهم.

ومنها- مواجهة الإمام محمد بن عبد الوهاب ومن معه لقوى الشر والباطل حتى قامت له دولة إسلامية قوية.

ولم يأخذ هؤلاء بهذه الرخصة، بل أخذوا بالعزيمة، ورأوا أن الأخذ بالعزيمة هو الواجب، وأن هذا من أعظم الجهاد كما قال رسول الله ﷺ: «أفضل الجهاد كلمة عدل - وفي رواية: - حق عند سلطان جائر»^(١).

وفي هذا العصر نهض أهل السنة في مختلف البلدان بالدعوة إلى الله، ويصرون على ما يواجهون في تلك البلدان التي تكون القوة والغلبة فيها لأهل البدع والباطل، فلا يصدهم ذلك عن مواصلة الدعوة والصبر على ما يلاقونه من الأذى.

(١) ورد من طرق عن عدد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وصححه الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «الصحيح» حديث [٤٩١]، وهو كما قال.

فيصدق عليهم قول رسول الله ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مِنْ خَذَلْتُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»^(١).

(د) ثم إن ما ذكرته لا ينطبق على واقع هذا العصر وأهله.

١- فالقوة والظهور في بلاد الحرمين والحمد لله لأهل السنة السلفيين، والصغار على أهل الأهواء، ولهذا تراهم يستترون ببدعهم، ويلبس كثير من أهل الأهواء لباس السلفية والسنة.

٢- في بلاد الكفر من دول أوروبا وأمريكا وغيرها قد أعطوا في دساتيرهم وقوانينهم حرية الكلمة في كل المجالات للكفار والمسلمين، فالكفار يستغلون هذه الحرية للظن في الإسلام وأهله ومن شاؤا ممن يخالفهم من أهل مللهم.

والمتبذعة يستغلون هذه الحرية في تشويه الحق وأهله وفي نشر ضلالاتهم وأباطيلهم.

وأهل السنة يستغلون هذه الحرية في نشر ما عندهم من السنة والحق، وفي رد الباطل والهجمات على الإسلام.

ومجالات هذه الحرية كثيرة جداً كالصحف والمجلات والمواقع الفضائية وشبكات المعلومات الدولية (الإنترنت).

فأين أنت من هذا الواقع؟ فكان يجب أن تشجع أهل الحق على نشر ما عندهم من الحق وعلى الرد على أهل الباطل الذين عرفنا بالتجارب الطويلة أن لين الجانب والسكرت عنهم لا يزيدهم إلا عتواً وتمرداً، لا سيما إذا وجد من يجايهم ويدافع عنهم، وعلى كل حال فاستشهادك بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية وتنزيله على أهل هذا العصر في غير محله.

(١) أخرجه البخاري حديث [٣٦٤١]، ومسلم حديث [١٩٢٠].

(ص ٢٩): قولك:

«٥- ما يتعلق بمدة الهجر: فينبغي أن تكون مناسبة لحال المخالف ونوع مخالفته: فإن من الناس من ينزجر بهجر اليوم واليومين أو الشهر والشهرين، ومنهم من يزيد وينقص، فإذا حصل المقصود بالهجر يجب أن يقطع وإلا حصل اليأس والفتنوط، كما أنه إذا نقص عن المدة المناسبة لم ينفع.

يقول ابن القيم في معرض ذكره للفوائد المستفادة من هجر النبي ﷺ لكعب بن مالك وصاحبيه: «وفيه دليل على أن هجران الإمام والعالم والمطاع لمن فعل ما يستوجب العتب ويكون هجرانه له دواء بحيث لا يضعف عن حصول الشفاء، ولا يزيد في الكمية والكيفية فيهلكه، إذ المراد تأديبه لا إتلافه» اهـ «زاد المعاد» (٢٠٣).

أقول:

هذا التقرير فيه خلل ولم يف بالمقصود.

أولاً- فالهجر من أجل خصومات شخصية دينية يجرم أن يزيد على ثلاثة أيام قال رسول الله ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ يَلْتَقِيَانِ فَيُصَدَّ هَذَا وَيُصَدَّ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»^(١).

وإن كان الهجران للشخص من أجل بدعته فإن هجره يستمر إلى أن يتوب، فإن لم يتوب فعلى التأيد.

قال الإمام البيهقي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «شرح السنة»^(٢) خلال شرحه لحديث كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تخلف الثلاثة عن غزوة تبوك ومنهم كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

(١) أخرجه البخاري حديث [٦٠٧٧]، ومسلم [٢٥٦٠].

(٢) (١/ ٢٢٦-٢٢٧).

«وفيه دليل على أن هجران أهل البدع على التأبید، وكان رسول الله ﷺ يخاف على كعب وأصحابه النفاق حين تخلفوا عن الخروج معه، فأمر بهجرانهم إلى أن أنزل الله توبتهم، وعرف رسول الله ﷺ براءتهم، وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم، وعلماء السنة على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدعة، ومهاجرتهم».

ثانياً - استشهادك بكلام الإمام ابن القيم رحمه الله في غير محله، فإنه لا يتحدث عن هجران المبتدع وإنما هو يتحدث عن ما يستوجب العتب من أهل السنة والاستقامة، أما أهل البدع فهو لا يقصد منهم من قريب ولا من بعيد، فليتأمل القارئ الكريم كلام هذا الإمام.

(ص ٣٠): قلت:

«ثامناً - الإنكار على المخالف والرد عليه نصحاً له وحماية للأمة من خطئه، من الأصول المقررة عند أهل السنة وهو من أعظم أنواع الجهاد؛ ولكن ينبغي أن تراعى فيه الضوابط الشرعية والشروط المرعية التي يمكن من خلالها تحقيقه لمقصده الشرعي.

ومن ذلك:

١ - أن يكون بإخلاص ونية صادقة في نصرته الحق والتجرد له.

ومن لوازم الإخلاص فيه: أن يجب هداية المخالف ورجوعه للحق، وأن يسلك كل المسالك الممكنة في تقريب قلب المخالف لا تنفيره، وأن يصحب ذلك دعاء الله له أن يهديه خصوصاً إن كان من أهل السنة أو من غيرهم من المسلمين، وقد دعا النبي ﷺ لبعض الكفار بالهداية فكيف بالمسلمين الموحدين !!».

أقول، قولكم عن الرد على المخالف إنه من الأصول المقررة عند أهل السنة وهو من أعظم أنواع الجهاد حق.

وأقول:

١ - كثير من المستبين إلى السنة لا يعترفون بهذا الأصل، ولا يرونه من الجهاد. بل يجاريون من يرد على أهل الأهواء، ويفرسون في نفوس الناس أن الردود على أهل الباطل من أقبح الأعمال، وأهلها من شر الناس، فأين إنكاركم عليهم؟

٢ - أكثر من الشروط والضوابط، ولم تسق الأدلة على مشروعية أو وجوبها، ولم تنقل عن الكتاب والسنة ولا عن أئمة الإسلام هذه الشروط والضوابط، والله يقول: ﴿قُلْ هَكَأَنَّا بُرْهَنَكُم مِّنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١).

وهذا الإكثار من الضوابط والشروط مما يفرج به أهل الأهواء، ويثبط كثيراً من أهل السنة.

نعم الإخلاص والتجرد يجب أن يكونا في كل عمل يتقرب به إلى الله وينبغي أن يجب الراد للمردود عليه الهداية والرجوع إلى الحق، ولكن ذلك لا يجب ولا هو من لوازم الإخلاص، فحتى الرسل الكرام - عليهم الصلاة والسلام - لا يرون أن ذلك من لوازم الإخلاص، ولا من واجبات دعوتهم.

قال تعالى عن رسول الله نوح: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْكَافِرِينَ دِيَارًا إِنَّكَ أَنْتَ تَرْهَقُهُمْ يُسَلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾^(٢).

وقال تعالى ذاكرًا دعاء موسى على فرعون وقومه: ﴿رَبَّنَا أَتَيْتَنَّا عَلَىٰ أَمْوَالِنَا وَأَشْدُّدَ عَلَىٰ قُلُوبِنَا فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرْوُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾^(٣).

(١) سورة البقرة، الآية [١١١].

(٢) سورة نوح، الآية [٢٦ - ٢٧].

(٣) سورة يونس، الآية [٨٨].

ودعا رسول الله ﷺ على قومه فقال: «اللهم اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِتِينَ كَسْبِي يُوسُفَ»^(١).

وعن أنس رضي الله عنه: «... إِنَّمَا قَنَّتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَهْرًا يَذْعُو عَلَى أَنَاسٍ قَتَلُوا أَنَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ يَقَالُ لَهُمُ الْقُرْأَةُ»^(٢).

وعنه رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَنَّتْ شَهْرًا يَلْعَنُ رُغْلًا وَذَكَوَانًا وَعُصْبَةً عَصَا اللَّهِ وَرَسُولُهُ»^(٣).

ومن مناقب الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان شديداً على المنافقين والكافرين والمخالفين من المسلمين، قال فيه رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا تَقِيكَ النَّشِيطَانِ قَطُّ سَلَاكَ هُجْرًا إِلَّا سَلَكَ هُجْرًا غَيْرَ هُجْرِكَ»^(٤).

وكانت الشدة على أهل البدع والباطل من حماد كثير من أئمة السنة، فمن يشتد منهم على أهل البدع لا يجارونه ولا يتقصونه ولا يعارضونه، بل يجعلون ذلك من محامده ومزاياه.

قال الإمام عبد الله بن المبارك: «ما رأيت أحداً أشبه بمسالك الأول من حماد بن سلمة».

وقال وهيب بن خالد: «كان حماد بن سلمة سيدنا وأعلمنا».

وقال غيره: «كان إماماً في العربية، فقيهاً، فصيحا شديداً على المبتدعة، صاحب تصانيف»^(٥)، والثناء عليه كثير.

(١) أخرجه مسلم حديث [٦٧٥]، وأحمد [٥٢١/٢].

(٢) أخرجه مسلم حديث [٦٧٧].

(٣) أخرجه البخاري في «الوتر» حديث [١٠٠٣]، ومسلم في كتاب «المساجد» حديث [٦٧٧/٢٩٩].

(٤) أخرجه البخاري حديث [٣٢٩٤]، ومسلم حديث [٢٣٩٦].

(٥) انظر: ترجمته في «تذهيب الكمال» للذهبي [١١ - ١٥].

وقال العجلي في حماد بن سلمة: «كان ثقة وكان يُعَدُّ من حكماء أهل الحديث».

وقال الإمام علي بن المديني: «هو عندي حجة في رجال، وهو أعلم الناس بثابت البناي وعبار بن أبي عمار، ومن تكلم في حماد فاتهموه في الدين».

(...) وقال ابن حبان: «ولم يكن من أقران حماد بن سلمة بالبصرة مثله في الفضل والدين والنسك والعلم والكتب والجشع والصلابة في السنة، والقمع لأهل البدع، ولم يكن يُثْلِثُهُ في أيامه إلا معتزلي قدري أو مبتدع جهمي؛ لما كان يُظهر من السنن الصحيحة التي ينكرها المعتزلة»^(١).

وقال الإمام أحمد: «إذا رأيت الرجل يغمز حماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام فإنه كان شديداً على المبتدعة»^(٢).

والثناء على حماد بن سلمة كثير، والذي يراجع كتب أئمة السنة في بيان عقيدة أهل السنة وبيان بطلان عقائد أهل البدع كثيراً ما يجد الأقوال الشديدة في أهل البدع، جماعاتهم وأعيانهم، ولا يجد فيها مثل أساليب الدكتور إبراهيم وشروطه وضوابطه التي تجعل نقد أهل البدع والمخالفين ما يقارب المستحيلات، لا سيما وقد فاوت الله بين طباع الناس، فهل يستطيع أحد أن يصب الناس في قالب واحد، وإني لأعتقد أن من أوائل من يعجز عن تطبيق هذه الشروط وهذا المنهج لصاحب هذه النصيحة.

وعلى كل فاللين والرفق مطلوبان، لكن إذا لم يحصل بهما جدوى فالشدة مطلوبة على المعاندين المتمردين على الحق وأهلها، ولذلك لتطبيقات كثيرة في الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، وتجاهل ذلك فيه خطر وضرر على الإسلام وأهل السنة.

(١) «تذهيب الكمال» للمزي [٧/٢٦٧].

(٢) «سير أعلام النبلاء» [٧/٤٥٢]، و«إعلام الموقعين» [٢/٣٤٢].

ولقد طعن رسول الله ﷺ في الخوارج، وروى الصحابة عن رسول الله ﷺ عدداً من الأحاديث في التحريض على قتلهم وذهمهم بمثل قوله ﷺ: «يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَلَاqِيمَهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ»^(١)، وقوله ﷺ: «إِنَّمَا وَجَدْتُهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ».

وكان رسول الله ﷺ إذا خَطَبَ أَحْرَثَ عَيْنَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرٌ حَيٌّ يَقُولُ صَبَحَكُمْ وَمَسَّكُمْ وَيَقُولُ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» وَيَقْرَأُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى وَيَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ: فَإِنْ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(٢).

وقال خبيب في دعائه على الكفار من قريش: «اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا وَأَقْتُلْهُمْ بَدَدًا وَلَا تُبَيِّنْ مِنْهُمْ أَحَدًا»^(٣).

(ص ٣٠ - ٣١): قال الدكتور إبراهيم:

«٢. أن يكون الرد من عالم راسخ القدم في العلم، يعلم على وجه التفصيل جوانب المسألة المتعلقة بموضوع الرد من حيث الأدلة الشرعية عليها، وكلام العلماء فيها ومدى مخالفة الخصم للحق، ومنشأ الشبهة عنده، وأقوال العلماء في رد هذه الشبهة والاستفادة من كلامهم في ذلك.

كما ينبغي أن يتسم الراد على المخالف بقوة الحجة في تقرير الحق وإزالة الشبهة ودقة العبارة، بحيث لا يظهر عليه في شيء من ذلك أو يفهم من كلامه غير ما أراد، وإلا حصل الضرر العظيم بتصدي من فقد هذه الشروط للرد».

(١) أخرجه مسلم حديث [١٠٦٧].

(٢) أخرجه مسلم حديث [٨٦٧] من رواية جابر ابن عبد الله رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري حديث [٣٩٨٩].

أقول:

١- يا حبذا أن يكون الرد من عالم راسخ صفاته كما ذكرت، لكن استحالة هذه الصفات لا يجب في كل راد، ولا يجب استحالتها في كل رد، ولو اشترطنا ذلك في كل راد وكل رد لاستشرى الفساد واستولى على الأمة بأجمعها إلا النادر من الناس.

٢- يؤكد عدم صحة استحالة هذه الشروط أنك لا تجد في معظم بلاد الإسلام علماء سلفين راسخين، ويوجد فيها طلاب علم، ومع ذلك فإنه قد نفع الله بهم في نشر التوحيد ودحض الشراكيات والبدع والخرافات.

وأنا أسأل الدكتور إبراهيم إذا كان هناك بلد أو بلدان تنتشر فيها البدع والمنكرات، ولا يوجد فيها عالم راسخ أو علماء راسخون تتوفر فيهم تلك الشروط، ويوجد فيها طلاب علم قد قرؤوا «الأصول الثلاثة» و«كشف الشبهات»، و«كتاب التوحيد» للإمام محمد بن عبد الوهاب وكتاب «الواسطية»، و«الحموية» لشيخ الإسلام ابن تيمية و«عمدة الأحكام» للإمام عبد الغني المقدسي أو «بلوغ المرام» للحافظ ابن حجر، وتنتشر في بلادهم أو بلدانهم بدعة تعطيل صفات الله وبدعة القدر وبدعة الإرجاء وبدع الشرك بأهل القبور وغيرها من البدع، ويكثر فيها شرب الخمر، وتهتك النساء، فهل يجب أن ينكروا هذه المنكرات في حدود علمهم أو يجب عليهم السكوت لأنهم ليسوا من العلماء الراسخين... الخ.

أعتقد أن الدكتور إبراهيم سيجيب بأنه يجب على هؤلاء الطلاب أن ينكروها ويغيروها في حدود علمهم وطاقاتهم امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿وَلَنْتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْقُرْآنِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

(١) سورة «آل عمران»، الآية [١٠٤].

وامتثالاً لأمر رسول الله ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١).

فمن كان منهم ذا سلطان فعليه أن يغيّر بيده ولسانه، ومن كان غير ذي سلطان فعليه أن يغيّر بلسانه وقلمه وبنانه، ولا أظن عالماً أو طالب علم يخالف في هذا.

وأعتقد أن هؤلاء الطلاب الذين وصفتهم إن سكتوا عن تغيير المنكرات أنهم يدخلون في قول الله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ يَمَّا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(٢) كانوا لا يكتفون عن منكرهم فقلوه لئلا يكتفوا بقلوبهم^(٣).

(ص ٣١): قوله:

«٣. أن يراعى في الرد على المخالف تفاوت المخالفين في درجة المخالفة ومكانة المخالف في الدين والدنيا، وكذلك التفاوت في الباعث على هذه المخالفة أهو الجهل، أم الهوى والابتداء، أو سوء التعبير، أو سبق لسان، أو تأثر بشيخ أو أهل البلد، أو التأويل أو غير ذلك من المقاصد الكثيرة للمخالفات الشرعية. فمن لم ينتبه إلى هذه المفارقات وبرايعها عند الرد لربما وقع في شيء من الإفراط أو التصريط الذي يمنع الانفتاح بكلامه أو يقلل النفع به».

أقول:

هذا كلام كله يقوم على الإجماليات، فترجو من الدكتور إبراهيم أن يفصل هذه الإجماليات، ويضرب لها الأمثلة، ويقيم عليها الأدلة، وإلا فإنه يقع غالب القراء في حيرة، ويوقع من يسلم بهذا الكلام في التوقف عن القيام بالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم لوجود هذه العقبات.

(١) أخرجه مسلم حديث [٤٩]، وأحمد [٤٩/٣].

(٢) سورة «المائدة»، الآية [٧٨ - ٧٩].

فهل إذا وجد العالم أو طالب العلم قومًا يستغيثون بغير الله ويذبحون لهم... والخ، فهل يجب عليه أن يعرف تفاوت المخالفين والتفاوت في بواعثهم... الخ؟

وهل دل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على هذا؟

قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(٢).

ولم يأت رسول الله ﷺ بشيء من هذه القيود التي ذكرها الدكتور إبراهيم.

وكتب السلف على كثرتها وكثرة ما فيها من الأقوال في الرد على البدع والمنكرات لم نجد فيها هذه القيود الشديدة.

نعم، يجب أن يكون رد العالم قائماً على الأدلة من الكتاب والسنة وبالأسلوب المناسب، فقد يتطلب الموقف اللين والرفق، وقد يتطلب القوة على المستكبر والمعاند، وكلاهما لا ينافي الحكمة، فإن الحكمة وضع الشيء في موضعه.

قال الشاعر:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلو
مضرب كوضع السيف في موضع الندى
وقال الشاعر:

إذا لم يكن إلا الأسنة مركب
فما حيلة المضطر إلا ركوبها

(١) سورة «النساء»، الآية [٥٩].

(٢) أخرجه مسلم حديث [٤٩]، وأحمد [٤٩/٣].

هذا ولا يلزم الراد معرفة الباعث على البدعة أو المعصية؛ لأن ذلك مما لا يعلمه إلا الله.

قال رسول الله ﷺ: «إني لم أومر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم»، قاله ﷺ في قصة ذي الخويصرة^(١).

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إن أناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ وإن الوحي قد انقطع وإننا نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقريناه ونسب إلينا من سريرته شيء الله يحاسبه في سريرته ومن أظهر لنا سوءاً لم تأمنه ولم تصدقه وإن قال إن سريرته حسنة^(٢)».

ويجب التيسير على الدعاة إلى الله والذابين عن دينه، قال رسول الله ﷺ: «يُسْرُوا وَلَا تُعْسِرُوا وَيُسْرُوا وَلَا تُعْسِرُوا»^(٣).

فهذا التيسير كما يجب أن يكون من الدعاة يجب أن يكون لهم كذلك فيما يقومون به من إنكار المنكرات، فلا يرمون بالتشدد والغلو كما يجري عليهم هذا الرمي الآن من فئات معروفة نصبت نفسها لمقاومة أهل السنة وتشويههم.

ولا يجوز أن توضع في وجوههم العقبات التي توهم عزائمهم في نشر الحق والذب عنه.

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ مُبَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»^(٤).

(١) أخرجه البخاري في «المغازي» حديث [٤٣٥١]، ومسلم في «الزكاة» حديث [١٠٦٤].

(٢) أخرجه البخاري في «الشهادات» حديث [٢٦٤١].

(٣) أخرجه البخاري في «العلم» حديث [٦٩]، ومسلم في «الجهاد» حديث [١٧٣٢].

(٤) أخرجه أحمد (٢٣٩/٢)، وأبو داود حديث [٣٨٠]، والترمذي حديث [١٤٧].

فكثرة القيود الثقيلة على الرادين على أهل الأهواء والضلال من أشد أنواع التعسير وأبعدها عن التيسير.

(ص ٣٢-٣١): قال الدكتور إبراهيم:

«٤- أن يراعى في الرد على المخالف أن يحقق المصلحة الشرعية للرد، فإن ترتب عليه مفسدة راجحة على مفسدة المخالفة فلا يشرع الرد في هذه الحالة؛ فإنه لا قدرأ مفسدة بما هي اعظم منها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فلا يجوز دفع الفساد القليل بالفساد الكثير، ولا دفع أخف الضررين بتحصيل أعظم الضررين، فإن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان، ومطلوبها ترجيح خير الخيرين إذا لم يمكن أن يجتمعا جميعاً ودفع شر الشرين إذا لم يتفقا جميعاً» اهـ [المسائل الماردينية: ص (٦٤-٦٣)].

أقول:

إن كلام شيخ الإسلام حق، فلا يجوز دفع الفساد القليل بالفساد الكثير... الخ، لكنني أعتقد أنه لا يرى أن الشرك والكفر والبدع الكبرى وحرب أهل السنة والدفاع عن أهل البدع الكبرى من الفساد القليل ولا إنكارها وبيان خطرها من الفساد الكثير.

فلا مصلحة أعظم من نشر التوحيد وإظهاره ومن هدم الشرك والكفر وتطهير الأرض منهما ومن البدع التي وصفها رسول الله ﷺ بأنها شر الأمور.

والظاهر أن شيخ الإسلام يريد بهذا الكلام من ينصح أو ينكر على ولادة أمور المسلمين أو من ينوب عنهم، فإنه يجب أن يكون بالحجة والبرهان مع الرفق واللين، وإذا كان فسادهم قليلاً وترتب على الإنكار عليهم مفسدة أو مفاصد أكبر فتحتمل المفسدة

الأصغر لدفع أكبر منها^(١)، فإذا كانت مفسدتهم كبيرة شركاً أو رفضاً أو تضمن كفراً فهذا لا تأتي هذه القاعدة فتأمل.

ولشيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم كلام نحو هذا في غير موضع.

وأما البدع ولا سيما الكفرية أو الشركية فهذه لا يقال فيها مثل هذا الكلام لا من شيخ الإسلام ولا من غيره ولا تنس موقف الإمام أحمد تجاه من قال بخلق القرآن وإن كان الملك والسلطان بأيديهم، وكم للإمامين ابن تيمية وابن القيم من المواقف ومن المؤلفات فيها، فمن مؤلفات ابن تيمية «الواسطية»، و«الحموية»، و«التدمرية»، و«منهاج أهل السنة»، و«نقض المنطق»، و«درء تعارض العقل والنقل»، و«تلبيس الجهمية»، و«اقتضاء الصراط المستقيم»، و«الفتاوى الكبرى»، و«مجموع الفتاوى» وغيرها وغيرها، وأكثرها في الردود على الأشعرية.

ولابن القيم «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة»، و«إعلام الموقعين»، و«إغاثة اللهفان»، و«التونية».

ومعظمها ردود على الأشعرية الصوفية الذين كان السلطان والسيلاطين في قبضتهم، ذلك لأن البيان في هذه الأبواب لا يكون الرد والإنكار فيها إلا راجع المصلحة على المفسدة، وهذه دعوة الرسل -عليهم الصلاة والسلام- من أولهم نوح إلى خاتمهم محمد ﷺ فإنهم يصدعون بالحق وبيان التوحيد والتحذير من الشرك مهما بلغ جبروت أعدائهم ومهما بلغ سلطانهم وقوتهم وطغيانهم.

(ص ٣٣-٣٢): قال الدكتور إبراهيم:

«٥- أن يراعى في الرد أن يكون على قدر انتشار المخالفة؛ فإن كانت المخالفة نشأت في بلد أو مجتمع فلا ينبغي أن يشاع الرد سواء عن طريق نشر كتاب أو شريط أو

(١) بخلاف ما يفعله الخوارج وأشباههم، فإن إنكارهم إما أن يكون بالخروج المسلح أو بالتهميش والإثارة، فتكون المفسدة في هذا الإنكار أعظم وأشد من المفسدة التي يريدون تغييرها.

غيرهما من الوسائل الأخرى في بلد أو مجتمع لم يسمع بالمخالفة؛ لأن في نشر الرد نشر بطريق غير مباشر للمخالفة فقد يطلع الناس على الرد فتبقى الشبهة في نفوسهم ولا تحصل لهم القناعة بالرد، فترك الناس في سلامة وعافية من سماع الباطل أصلاً خير من سماعهم له ورده بعد ذلك. وقد كان السلف يراعون ذلك في ردودهم فكثير من كتبهم في الردود يستدلون فيها للحق في مقابل الباطل من غير ذكر للمخالفة، وهذا من فقههم الذي قصر عنه بعض المتأخرين.

وما قيل في التحذير من نشر الرد في بلد لم ينتشر فيه الخطأ يقال في التحذير من نشره في طائفة من الناس لم تعرف ذلك الخطأ وإن كانت في بلد المخالفة، فلا ينبغي أن يسعى في نشر الردود من كتب وأشرطة بين العامة إن لم يعرفوا الخطأ ولم يسمعوا به، فكم فتن من العامة ووقعوا في الشك والارتباك في أصل الدين بسبب إطلاعهم على ما لا تدركه عقولهم من كتب الردود مما لا يحصيه إلا الله، فعلى الساعين في نشر هذه الكتب بينهم أن يتقوا الله ويحذروا أن يكونوا سبباً لفتنة الناس في دين الله.

وإن من أعجب ما سمعته في هذا أن بعض الطلبة قاموا بتوزيع بعض كتب الردود على بعض حديثي العهد بالإسلام ممن لم يعض على إسلامهم سوى أيام أو أشهر ووجههم لقراءتها، فيا لله العجب من صنيع هؤلاء^(١).

أقول:

١- إن رسالة محمد ﷺ إلى العالمين جميعاً، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾^(٢).

(١) سورة الأنبياء، الآية [١٠٧].

(٢) سورة سبأ، الآية [٢٨].

وقال ﷺ: «... وكان النبي يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَيُبعَثُ إلى الناسِ عَامَّةً»^(١).

فأي فتنة تنجم مخالفة لهذه الرسالة فإنه يجب دحضها وبيان بطلانها وبراءة الإسلام منها.

ولهذا العصر خاصة وسائل إعلامية من صحف ومجلات ومواقع وقنوات تنشر شروعا وخلاعاتها ومخالفاتها الجسيمة عبر هذه الوسائل على مستوى العالم.

فالفتنة تنجم في المشرق فتخطفها وسائل الإعلام فور حدوثها إلى المغرب، والعكس، وهذا أمر ما أظنه يخفى على الدكتور إبراهيم ولا على غيره.

ومن الصعب خاصة في هذا العصر محاصرة الكلام والفتن وجسبها في مكان حدوثها.

فليعد النظر الدكتور إبراهيم في هذا الكلام؛ لأن كثيرا من أهل الفتن مهما صغر شأنهم يحدث الفتنة في المشرق فإذا بها لها وله أتباع ومرجون هنا وهناك ينفخون في كبرها ويعظمون شأن صاحبها، فيصبح إماما مجتهدا، لا يجوز نقده ولا بيان حاله ولا الاعتراض عليه، ومن اعترض عليه انطرد على طريقة الصوفية، ويصبح باطلهم حقا، وحق من يرد هذا الباطل باطلا.

٢- قال الدكتور إبراهيم: «وقد كان السلف يراعون ذلك في ردودهم فكثير من كتبهم في الردود يستدلون فيها للحق في مقابل الباطل من غير ذكر للمخالفة، وهذا من قههم الذي قصر عنه بعض المتأخرين».

أقول،

أما قوله: «فكثير من كتبهم في الردود يستدلون فيها للحق في مقابل الباطل»، فحق

وواضح.

(١) أخرجه البخاري في «التيمة» حديث [٣٣٥]، ومسلم في «المساجد» حديث [٥٢١].

وأما قوله: «من غير ذكر للمخالفة»، فكلام مشكل وغير واقع.

والذي نعرفه عنهم أنهم ينصون على البدع وأصحابها وأحكامها، فيذكرون بدع الجهمية بأعيانها كإنكارهم لعلو الله واستوائه على عرشه، ويذكرون إنكارهم لأسماء الله وصفاته.

ويذكرون الخوارج وبدعهم بالتفصيل، ويذكرون فرق الخوارج وبدعهم بالتفصيل، ويذكرون المعتزلة وبدعهم بالتفصيل، كما يذكرون فرقهم وأعيانهم وما انفردت به كل فرقة، وقل مثل ذلك في المرجئة ورفقهم.

وقد ألفت كتب في هذه الفرق كـ «مقالات الإسلاميين» لأبي الحسن الأشعري، و«الفرق بين الفرق» لأبي منصور البغدادي، و«الملل والنحل» لابن حزم، و«الملل والنحل» للشهرستاني.

أرجو أن يتأمل جيدا الدكتور إبراهيم في هذا الكلام الغريب العجيب في نظري، فإن كان له معنى صحيح فليبينه لنا بأمثلة يذكر فيها كلام الراديين ولا يذكر فيها كلام المردود عليهم.

٣- وقول الدكتور: «فكم فتن من العامة ووقعوا في الشك والارتباك في أصل الدين بسبب اطلاعهم على ما لا تدركه عقولهم من كتب الردود مما لا يحصى إلا الله، فعلى الساعين في نشر هذه الكتب بينهم أن يتقوا الله وليحذروا أن يكونوا سببا لفتنة الناس في دين الله».

أقول، ماذا تريد بكتب الردود التي أوقعت الناس في الشك والارتباك... الخ؟
أريد ردود أهل الباطل والبدع والفتن، فهذا أمر معقول وأمر حاصل.

وما أفضل أكثر الناس إلا نشر أقوال أهل الباطل سواء كانت ردودا على أهل الحق والسنة مثل كتب دحلان والنهباني وكتب الروافض وكتب الإخوان المسلمين ومن ينافع عن أهل الباطل ويحارب أهل السنة من المتلفعين بلباس السنة.

وإن كنت تريد ردود أهل الحق على أهل الباطل، فهذا منك أمر عجيب ومن الدواهي، فكم في القرآن الكريم من الردود على أهل الضلال من المشركين واليهود والنصارى والمنافقين.

وكتب ردود السلف من عهد الإمام أحمد وتلاميذه وتلاميذ تلاميذه وهلم جرا إلى عهد شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه إلى عهد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه وإلى يومنا هذا، وهذه الردود تنتشر في الآفاق.

وكم هدى الله هذه الكتب من أهل الضلال، وكم حى الله بها أهل السنة من الوقوع في الشكوك والزيف وفي مصائد أهل الأهواء.

ومن هنا قال السلف: الرد على أهل البدع جهاد، وقال بعض أئمتهم: الرد على أهل البدع أفضل من الضرب بالسيف.

ومحاربة ردود أهل السنة في هذا العصر بدأها الإخوان المسلمون الذين كانوا ينشرون الأقوال الباطلة والعقائد الفاسدة والكتب المضللة والطعون الظالمة في أهل السنة، فلما انبرى بعض أهل السنة لرد أباطيلهم وفتنهم ومكائدهم غرسوا في أذهان الناس الطعن في الراديين وكتب الردود.

وبما يؤسف له أشد الأسف أن نرى بعض أهل السنة يُرددون ما غرسه الإخوان المسلمون من الطعن في كتب الردود وإنكار الردود على أهل البدع والفتن والضلال. فأرجو الاعتذار من الدكتور عن هذا الكلام الخطير، بل ونقد من يردد مثله.

قال الدكتور إبراهيم في (ص ٣٣): «وإن من أعجب ما سمعته في هذا أن بعض الطلبة قاموا بتوزيع بعض كتب الردود على بعض حديثي العهد بالإسلام من لم يمض على إسلامهم سوى أيام أو أشهر ووجههم لقراءتها، فيا لله العجب من صنيع هؤلاء!!».

أقول، ١- كان ينبغي التثبت من هذا النقل، فقد لا يثبت.

٢- يجوز أن يكون هؤلاء الطلبة من أتباع أهل الأهواء روافض أو غيرهم، وهذا أمر يستنكر ولو وزعوا هذه الكتب على مسلمين متعلمين ولدوا في الإسلام.

٣- إن ثبت هذا عن طلبة يتشبهون إلى السنة، فإن هذا لا يضر هؤلاء المسلمين الجدد، بل هو ينفعهم ويحميهم من تضليل أهل البدع لهم فينبغي أن يلتزم العذر هؤلاء الطلبة، ففعل هؤلاء الحديثي العهد بالإسلام قد سارعت إليهم فرق الضلال كالروافض والخوارج والعلمانيين وحزب التحرير وحزب الإخوان المسلمين وجماعة التبليغ وكلهم يجرهم إلى عقيدته ومنهجه، أو هرع إليهم بعض هذه الفرق ليجرهم إلى حربه، أليس من النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأولئك الحديثي العهد بالإسلام والعامة أن يحذروا من شر هذه الفرق وضلالهم؟

ألم يقل رسول الله ﷺ: «الَّذِينَ اتَّصِیْحَةُ، فَقَالُوا: بَلَى، قَالَ: بَلَى وَكِتَابِهِ وَبُرْهُوْلِهِ وَأَنَّمَا الْمُتَسَلِّمِينَ وَعَاشَتِهِمْ»^(١).

وإذا كان المردود عليه -الذي لا نعرف منهجه- من أهل الفتن وله دعوة ومنهجه دعاء يخطفون من يدخل في الإسلام ولا يميز بين الحق والباطل أليكون الراد عليه والمحذر منه مخطئا أو مبطلا؟

أليس من النصيحة إذا كان هناك رد على هذا الصنف أن يبين هؤلاء المساكين معنى هذا الرد وبطلان قول أو أقوال المردود عليه حماية لهم؟

(١) أخرجه مسلم حديث [٥٥].

نحن نعرف أن لأهل الأهواء والتحزب أنشطة قوية لاحتواء من يُسلم من الغربيين وغيرهم، فهل نجد في القرآن والسنة شيئاً عن حماية الضعفاء والعامّة من العرب والعجم من غوائل أهل الأهواء؟ فعلاً لا نجد.

وأرى أنه ينبغي أن يزول عجبك، وأن تشكر هؤلاء الطلاب الناصحين إن كانوا من أهل السنة الثابتين، وإن كانوا من أهل الضلال فإن تعجبك في عمله، بل يجب أن يستنكر فعلهم هذا بشدة؛ لأنه يتضمن دعوة إلى الضلال والإضلال هؤلاء المساكين.

(ص ٣٥٠-٣٥٣): قال الدكتور إبراهيم:

«٦- الرد على المخالف من فروض الكفايات: فإذا قام به أحد العلماء وتحقق المقصود الشرعي برده على المخالف وتحذير الأمة، فقد برئت ذمم العلماء بذلك على ما هو مقرر عند العلماء في سائر فروض الكفايات.

ومن الأخطاء الشائعة عندما يصدر رد من عالم على مخالف، أو فتوى بالتحذير من خطأ، مطالبة كثير من الطلبة المنتسبين للسنة العلماء وطلبة العلم ببيان موقفهم من ذلك الرد أو تلك الفتوى، بل وصل الأمر إلى أن يطالب من طلبة العلم الصغار، بل العوام بتحديد موقفهم من الرد والمردود عليه، ثم يعقدون على ضوء ذلك الولاء والبراء ويتهاجر الناس بسبب ذلك، حتى تريباً هجر بعض الطلبة بعض شيوخهم الذين استفادوا منهم العلم والعقيدة الصحيحة سنين طويلة بسبب ذلك، وتربما عمت الفتنة البيوت فتجد الأخ يهجر أخاه والأبن يحفو والديه، وتربما طلقت الزوجة وفرق الأهل بسبب ذلك.

وأما إذا ما نظرت إلى المجتمع فتجد أنه انقسم إلى طائفتين أو أكثر، كل طائفة تكيل للأخرى التهم وتوجب الهجر لها، وكل هذا بين المنتسبين للسنة ممن لا تستطيع طائفة أن تتقدم في عقيدة الطائفة الأخرى وفي سلامة منهجها قبل أن

ينشأ هذا الخلاف. وهذا مرجعه إما إلى الجهل المضطرب بالسنة وقواعد الإنكار عند أهل السنة، أو إلى الهوى، نسأل الله العافية والسلامة.

أقول:

قولك: «الرد على المخالف من فروض الكفايات؛ فإذا قام به أحد العلماء وتحقق المقصود الشرعي برده على المخالف وتحذير الأمة، فقد برئت ذمم العلماء بذلك على ما هو مقرر عند العلماء في سائر فروض الكفايات».

أقول: نعم إذا تحقق المقصود الشرعي برده هذا الواحد فقد برئت ذمة الباقي من المسلمين، لكن إذا لم يتحقق المقصود الشرعي برده الواحد على المخالف بأن يعاند هذا المتبدع المردود عليه، وبأن يوجد في الساحة أناس من أدياء العلم يدعمون المردود عليه ويفرحون برودوه الظالمة الباطلة على ذلك العالم الراد للبدع والأباطيل ويوجد علماء ساكتون لم يبينوا خطأ وأباطيل المردود عليه، بل يستغل المردود عليه هذا السكوت ويوهم الناس أن هؤلاء الساكين معه ويؤيدونه، ويوهمهم بأنه لو كان على الباطل لأدأه، فإنه حينئذ قطعاً يجب على العلماء الساكين أن يبينوا للناس الحق نصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

ونصرة للحق وحسباً لمادة الفتن والاختلاف التي نشأت عن السكوت أو التأيد المبطّن لصاحب الباطل اللذين أديا إلى عدم تحقق المقصود الذي يسقط الحرج عن الباقي.

ولا يجوز أن يقال: فقد برئت ذمم الباقي.

فإذا لم يتحقق المقصود برده واحد أو عشرة من العلماء لم تبرأ ذمة بقية العلماء حتى ينهضوا أو ينهض منهم من يتحقق به المقصود وتنطفئ بهم الفتنة ويأمن يظهر الحق للناس طلاب العلم والعوام كما يظهر لهم الباطل.

فأقول بتحقيق المقصود والحال هذه، والبلبله والاضطراب الشديد قائمين أمر عجيب وأعجب منه قول القائل «فقد برئت ذمة العلماء».

وكان يجب على الدكتور إبراهيم والعلماء الساكين وغيرهم أن يتحركوا لمواجهة الفتنة أو الفتنة الضاربة أطنابها وأن يكون هذا الواقع المؤلم حافزاً لهم على القيام بالواجب الكفائي.

ولا يبعد أن يكون سبب هذه الفتنة الكبيرة وما ترتب عليها هو سكوت الساكين الذين يرفضون أن يقوموا بهذا الواجب الكفائي الذي لم يتحقق المقصود منه برده شخص واحد، وتأمل فقه أهل السنة السابقين وقيامهم بمجتمعين بهذا الواجب العظيم.

قال الإمام ابن القيم في «مدارج السالكين»^(١) في إنكاره على أهل البدع:

«ولهذا اشتد تكبر السلف والأئمة لها، وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض. وحذروا فتنهم أشد التحذير وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش والظلم والعدوان. إذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد».

وأنا أسأل الدكتور إبراهيم مثلاً الجهاد في سبيل الله من فروض الكفايات فإذا ذهب شخص واحد لجهاد دولة كافرة تهدد الإسلام والمسلمين فهل يتحقق المقصود الشرعي يذهب هذا الواحد أو ذهب للجهاد المئات لكن لم يحصل بهم المقصود الشرعي، ولم يتدفع بهم هذا التهديد، فهل يجوز للعلماء السكوت في هذه الحال، أو يجب عليهم أن يحشوا الناس على الجهاد ليقوموا بهذا الواجب الكفائي، وأنه لا بد من توفر العدد الكافي للقيام بهذا الواجب وإسقاط الحرج عن باقي المسلمين، وإذا لم يحققوا هذا العدد الكافي فإن المسلمين آمنون في هذه الحال وتحملون مسئولية ما يلحق بالإسلام والمسلمين من الأضرار.

وقل مثل ذلك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا بد فيه من توفر العدد الكافي لقمع الفتنة إذا لم تقم بالواحد والعشرة والعشرين.

فظهر بهذا أن مطالبة كثير من الطلبة المنتسبين إلى السنة للعلماء ببيان موقفهم حق وصواب إن صح وجود هذه المطالبة، وليس من الأخطاء، وأن المخطئ هو من يخطوهم، وأن سكوت العلماء عند الحاجة أو الضرورة لبيان الحق يكون من كتمان الحق ومن الخطأ الكبير الذي تترتب عليه مفاسد وفتن وانقسام الناس إلى طائفتين أو طوائف يختصمون ويتهاجرون... الخ.

وأخيراً فكان يجب عليك بيان الطرف الظالم المعاند الذي تسبب في هذه الفتنة الرهيبة التي وصلت إلى هذا الحد الكبير الذي وصفته، حتى يكون الناس ولا سيما العوام على بصيرة من دينهم، فيأخذون الحق ويردون الباطل، ويكون ولاؤهم وبرأؤهم على بصيرة، وهذا من واجبات صاحب هذه النصيحة.

(ص ٣٦): قال الدكتور إبراهيم:

«تأسفًا علماء أهل السنة الذين عرفوا بسلامة الاعتقاد والاجتهاد في نصرة السنة، ينبغي أن يحفظ مقامهم ويعرف لهم قدرهم، ولا يجوز تنقصهم أو تبديعهم أو اتهامهم بهوى أو عصبية بمجرد خطئهم في الاجتهاد».

أقول:

هذا أمر مسلم عند أهل السنة الذين عرفوا بسلامة الاعتقاد والاجتهاد في نصرة السنة، وقد يحصل منهم الخطأ في دقيق الأمور وخفيها، فهؤلاء يحفظ لهم مقامهم ويعرف لهم قدرهم، ولا يطعن فيهم إلا صاحب هوى كما هو واقع أهل الأهواء.

أما إذا كان الانحراف في أمور جليلة واضحة، كأن يدافع هذا المدعي للسنة عن أهل البدع والضلال من القائلين بوحدة الوجود وتعطيل صفات الله والطمع في أصحاب رسول الله والقول بأزلية الروح وغير ذلك من الضلالات الواضحة.

أو يدافع بالكذب والخيانة عن القائلين بوحدة الأديان وحرية الأديان وأخوة الأديان وغيرها من الضلالات الواضحات الجليات التي ينكرها حتى أهل البدع والضلالات.

ويزيد على ذلك محاربة أهل السنة وإسقاط علمائهم ويعتبرهم غلاة وشذاذًا إذا واجهوا أهل الضلال وانتقدوا بدعهم، ويزيد على هذا البلاء اختراع أصول باطلة لمواجهة أصول أهل السنة كأصل «نصح ولا نجرح»، وبعضهم يقول: «نصح ولا نهدم»، وقاعدة: «لا يلزمني» التي يردون بها الحق الواضح كالشمس، وحمل مجملات أهل الباطل على ما يزعمون أنه من مفصلاتهم، بينما ضلالهم واضحة كالشمس، ومفصلة تفصيلاً واضحاً جلياً، كأصلهم «المنهج الواسع الأفيح» الذي يسع أهل السنة والأمة كلها.

وهو يطلق لفظ أهل السنة والاتباع على أهل البدع والطرق الضالة المشتملة على الشريكات والبدع ووحدة الوجود.

ويصف أهل السنة بالغناء والأراذل وبالغلو والتقليد والتعصب الأعمى إلى آخر الطعون الفاجرة في أهل السنة.

ويزيد هذا الصنف أن يصف الصحابة بأنهم غناء، ولا يرى ذلك سباً إذا صدر من أمثاله ويصر على ذلك.

فهذا الصنف الذي هذا حاله لا يجوز لعاقل يعرف السنة ويحترمها أن يعدّهم من أهل السنة ويطلب من الناس أن يحفظوا لهم مقاماتهم ويعرفوا لهم قدرهم، ويحرم

تدعيهم أو اتهامهم بالهوى والعصية مع أن هواهم وضلالهم وفتنهم وعصبيتهم لأهل الضلالات الكبرى كلها واضحة ومحاربتهم لأهل السنة واضحة جليلة، فإن أهل السنة وأئمتهم يدعون بأقل من هذه الدواهي بمراحل.

فهذا الإمام أحد يقول فيمن يشتم أهل الحديث: زنديق زنديق.

ويقهر أهل السنة على هذا الحكم، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية الذي قال مؤكداً لقول الإمام أحمد: «لأنه عرف مغزاه».

وهذا الإمام أبو زرعة يقول: «من انتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فهو زنديق... الخ»

وتناقض هذا الكلام أهل السنة ولم يعارضه أحد.

وهذه كتب العقائد بين أيدي الناس وهذه كتب الجرح والتعديل بين أيدي الناس، والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٢﴾﴾.

(ص ٣٦-٣٨): قال الدكتور إبراهيم:

«ويقول رحمه الله (يعني شيخ الإسلام ابن تيمية^(١)): «هذا قول السلف وأئمة الفتوى كتابي حنيقة والشافعي والثوري وداد بن علي وغيرهم، لا يؤمنون مجتهداً

(١) سورة الأحزاب، الآية (٧٠-٧١).

(٢) قال شيخ الإسلام هذا الكلام خلال حكاية لاختلاف الطوائف فيها يكفر ويؤثم به، ولما وصل إلى هنا قال: «وأما غير هؤلاء فيقول: هذا قول السلف وأئمة الفتوى... الخ»، فسقط على الدكتور قول شيخ الإسلام: «وأما غير هؤلاء»، فصار ظاهر هذا الكلام أنه لشيخ الإسلام، وليس الأمر كذلك، وإنما قول حكاة عن بعض الناس كما حكى أقوال الآخرين. وقد يكون حاصل هذا الكلام صحيحاً في الجملة، لكن نسبت إلى الصحابة والتابعين يحتاج إلى بحث، والكلام ليس هو لشيخ الإسلام وإنما حكاة عن طائفة.

مخطئاً في المسائل الأصولية ولا في الفرعية كما ذكر ذلك عنهم ابن حزم وغيره، وقالوا: هذا هو القول المعروف عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة الدين أنهم لا يكفرون ولا يقسمون ولا يؤثمون أحداً من المجتهدين المخطئين لا في مسألة عملية ولا علمية، قالوا: والفرق بين مسائل الفروع والأصول إنما هو من أقوال أهل البدع من أهل الكلام والمعتزلة والجهمية ومن سلك سبيلهم» اهـ مجموع الفتاوى (٢٠٧/١٩).

وتقرير هذا لا يعني عدم مناصحة العالم إذا أخطأ، بل مناصحته واجبة على من علم خطاه، وهذا من البر به والإحسان إليه، لكن تكون المناصحة برفق ولين وأسلوب يتناسب مع قدره في العلم والفضل.

ثم إن رجوع عن الخطأ وصوبه فيقبل منه رجوعه، ولا يجوز بعد ذلك أن يتكلم فيه ولا أن يلام على خطئه ولا أن يشكك في صدق رجوعه، وإن لم يرجع عن الخطأ لتأويل أو شبهة حالت بينه وبين معرفة الحق، فينظر في الخطأ فإن كان مقتضراً عليه فقد برئت الذمة بمناصحته في نفسه، وإن كان منتشراً فيه الناس على هذا الخطأ وحذروا منه مع حفظ مقام ذلك العالم.

أقول:

١- إن قول شيخ الإسلام: «والفرق بين مسائل الفروع والأصول إنما هو من أقوال أهل البدع من أهل الكلام والمعتزلة والجهمية ومن سلك سبيلهم».

يقصد شيخ الإسلام بدم هذا التفريق هو تفريقهم في التضييل والتكفير بمسائل الأصول دون مسائل الفروع.

وقد بين رحمه الله أن من مسائل الفروع ما يكفر به ومن مسائل الأصول ما لا يكفر

وذلك - والله أعلم - راجع في الموضوعين إلى الظهور والخفاء في المسائل.

فيكفر بإنكار الأمور الواضحة من الأصول والفروع.

ويعذر المخطئ في الأمور الخفية من الأصول والفروع.

٢- أما التفريق بين مسائل الأصول والفروع من حيث إن هذه المسائل إذا كانت من مسائل الاعتقاد فهي عنده من الأصول العلمية، وإن كانت هذه المسائل من مسائل الفروع كالوضوء والصلاة والحج وغيرها^(١) من المسائل العملية فشيوخ الإسلام يرى هذا التفريق، وذلك كثير جداً في مؤلفاته، وعلماء المذاهب على هذا التفريق.

ولهذا يسمون المسائل الفقهية العملية بالفروع، ولهم فيها مؤلفات تسمى بكتب الفروع، ويطلقون على مسائل العقائد والمؤلفات فيها بمسائل الأصول وكتب الأصول.

٣- بالنسبة للتفريق بين ما يعذر فيه المجتهد بالتأويل وغيره وما لا يعذر فيه، يقول الإمام أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني (٣٨٦) في كتابه «الجامع»^(٢):

«ومن قول أهل السنة: أنه لا يعذر من وداه اجتهاده إلى بدعة؛ لأن الخوارج اجتهدوا في التأويل، فلم يعذروا، إذ خرجوا بتأويلهم عن الصحابة، فسأهم عليه السلام ما رقى من الدين، وجعل المجتهد في الأحكام مأجوراً وإن أخطأ».

فهذا الإمام ينسب هذا التفريق بين الأصول والأحكام (أي الفروع) إلى أهل السنة، كما ترى، ففرقوا بين الاجتهاديين بناء على أن ذم الخوارج كان بسبب انحرافهم في أصل من الأصول؛ لأن رسول الله ﷺ ذمهم، ولم يعذرهم.

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٠٨/١٩).

(٢) (ص ٢١١).

ولم يذم رسول الله ﷺ المجتهدين المخطئين في الأحكام (الفروع) بل أثبت للمصيب أجرين وللمخطئ أجراً واحداً، فقال ﷺ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَنَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَنَدَ ثُمَّ أخطأَ فَلَهُ أَجْرٌ»^(١).

وعمل السلف يؤيد ما نقله هذا الإمام، فتراهم يضللون ويبدعون وقد يكفرون المخالفين في الأصول، ولو في أصل واحد كالقول بخلق القرآن وإنكار علو الله واستوائه على عرشه وإنكار عذاب القبر والصراف والميزان يوم القيامة، بخلاف الأحكام فلا يبدعون المخطئ فيها ولو كثرت أخطاؤه.

ويمكن التوفيق بين هذين القولين بأن يُحمل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية على إغذار المجتهدين الذين يقع الخطأ منهم في الأصول التي تخفى على بعض أهل العلم. ويُحمل كلام ابن أبي زيد على من يضلون في الأمور الواضحة كالقول بخلق القرآن والقول بإنكار القدر والقول بإنكار رؤية المؤمنين لله في الدار الآخرة ونحو ذلك.

٤- لا يجوز توسيع دائرة الاجتهاد والمجتهدين، فالاجتهاد له أهله وله شروطه^(٢)، فهل يعد من المجتهدين من ينافح عن أهل الضلالات الكبرى، ويؤصل للدفاع عنهم أصولاً باطلة، ويحارب أهل السنة، ويستقط علماءهم انتصاراً لأهل تلك الضلالات الكبرى، ويشهد لأهل تلك الضلالات أنهم من أهل السنة، ويرمي أهل السنة المنافحين

(١) أخرجه البخاري حديث [٧٣٥٢]، ومسلم حديث [١٧١٦].

(٢) «من شروط المجتهد أن يكون محيطاً بمدارك الأحكام المثرة لها من كتاب وسنة وإجماع واستصحاب وقياس. ومعرفة الراجح منها عند ظهور التعارض، وتقديم ما يجب تقديمه منها كتقديم النص على القياس، ويشترط علمه بالنسخ والمنسوخ، ومواضع الإجماع والاختلاف... ولا بد من معرفته للعام والخاص، والمطلق والمقيد، والنص والظاهر والمؤول، والمجمل والمبين، والمنطوق والمفهوم، والمحكم والمنشأ، والعدالة شرط في قبول فتواه»، انظر: «مذكرات أصول الفقه على روضة الناظر» للعلامة الشنقيطي (ص ٥٢٧).

عن الإسلام وعقائده ومناهجه بأنهم غلاة وشذاذ وغثاء؟ فهذا الصنف عند أهل الحق والإنصاف والبصيرة من أهل الضلال والهوى، واجتهادهم إنما هو في المحاماة عن أهل الضلال وفي نصرة الأباطيل وفي حرب أهل السنة.

وقد أظهر الله ضلالانهم وفتنهم لأهل البصائر والإنصاف، الذين يهدون بالحق وبه يعدلون.

ونسأل الله أن يرزقهم التوبة النصوح والرجوع إلى منهج السلف علماً وعملاً، أو يظهر باطلهم وضلالانهم وفتنهم للغافلين والمتغافلين والمهملين.

أما حديثك عن المناصحة ورجوع المنصوح أو عدم رجوعه، فأؤكد لك أن هذا الصنف الذين فعلوا الأفاعيل، ودافعوا عن أهل الضلالات والأباطيل إلى آخر بلاياهم، فإنهم قد نوصحوا، وأنا شخصياً ناصحتهم على امتداد سنوات طويلة، ونُصحوا من علماء السنة مراراً وتكراراً، فما يزدادون إلا عتواً واستكباراً واستخفافاً بهؤلاء العلماء وطلابهم.

وأرجو أن تغير أسلوبك في الاعتذرات التي لا مكان لها عند سلف الأمة إذا كانت هذه الأعداء لأمثال من ذكرنا أو صافهم ومواقفهم، ولو كان سلف الأمة يعتذرون بمثل هذه الأعداء لما بدعوا الجهمية والمعتزلة والخوارج والمرجئة وغيرهم أفراداً وجماعات، ولما ألّفوا المؤلفات في بيان حالهم وضلالانهم.

ولو كانت تدور بأذهانهم هذه الأعداء لما بدعوا مثل الحارث المحاسبي وحسين الكرابيسي ويعقوب بن شيبه وأمثالهم، وأصلهم من أهل الحديث ومن علماءهم ومن أهل المنازل فيهم، وهم خير وأعلم وأحق بوصف الاجتهاد ممن تعتذر لهم وتحرص على بقائهم في دائرة أهل السنة المجتهدين.

وما ذنب الحارث المحاسبي وأمثاله إلا أنهم حصلت لهم شبهة فيقول أحدهم لفظي بالقرآن مخلوق، فلم يتحلوا لهم الأعداء ولم يشفع لهم عند أهل السنة أنهم مبرزون في الحديث والفقه والاجتهاد، هذا مع زهد الحارث وتأليفه في الزهد، ومع مكانة الأخيرين ومنزلتها العلمية.

وهاك نبذة من أحكام العلماء على هؤلاء المذكورين:

قال الذهبي في «ميزان الاعتدال»^(١) خلال ترجمته للحارث المحاسبي:

«قال الحافظ سعيد بن عمرو البردعي شهدت أبا زرعة -وقد سئل عن الحارث المحاسبي وكتبه- فقال للسائل: إياك وهذه الكتب، هذه كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر، فإنك تجد فيه ما يُغنيك. قيل له: في هذه الكتب عبرة، فقال: من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة، بلغكم أن سفيان ومالكا والأوزاعي صنّفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس، ما أسرع الناس إلى البدع.

مات الحارث سنة ثلاث وأربعين ومائتين، وأين مثل الحارث، فكيف لو رأى أبو زرعة تصانيف المتأخرين كـ (الفتوح) لأبي طالب، وأين مثل الفتوح! كيف لو رأى بهجة الأسرار لابن جهم ومحقائق التفسير للسلمي لطائرته، كيف لو رأى تصانيف أبي حامد الطوسي في ذلك على كثرة ما في الإحياء من الموضوعات. كيف لو رأى الغنية للشيخ عبد القادر! كيف لو رأى فصوص الحكم والفتوحات المكية! بل لما كان الحارث لسان القوم في ذلك العصر، كان معاصره ألف إمام في الحديث، فيهم مثل أحمد بن حنبل وابن راهوية، ولما صار أئمة الحديث مثل ابن الدخيسي وابن شحانة كان قُطب العارفين كصاحب الفصوص وابن سفيان. نسأل الله العفو والمسامحة آمين».

أقول: كيف لو رأى أبو زرعة والذهبي وغيرهما من أعلام السنة مؤلفات سيد قطب التي فيها وحدة الوجود ووحدة الأديان وحرية الدين، تلك الكتب التي يشيد بها عدنان عرعور ويدافع عن صاحبها أبو الحسن الماربي، ويحميها ويذكرها على حسن الخلق؟

كيف لو رأوا دفاع أبي الحسن عن دعاة وحدة الأديان وحرية الأديان وأخوة الأديان!

كيف لو رأوا إشادة علي الحلبي برسالة تضمنت وحدة الأديان وأخوة وحرية الأديان وضلالات أخرى، ويرى أن هذه المضامين شرح للإسلام وبيان لوسيطته!

كيف لو رأوا دفاع هؤلاء عن أهل البدع واعتبارهم من أهل السنة!

كيف لو رأوا حرب هؤلاء لأهل السنة ووصفهم لهم بالغلو وبأنهم شذاذ وخوارج... الخ.

كيف لو رأوا تأصيلهم للدفاع عن الباطل والحرب أهل السنة!

وقال الذهبي في «ميزان الاعتدال»^(١):

«الحسين بن علي الكرابيسي الفقيه. سمع إسحاق الأزرق ومعن بن عيسى وشبابه وطبقتهم. وعنه عبيد بن محمد البزار ومحمد بن علي فستقه وله تصانيف.

قال الأزدي: ساقط لا يرجع إلى قوله.

وقال الخطيب: حديثه يعزّج جداً! لأن أحمد بن حنبل كان يتكلم فيه بسبب مسألة اللفظ، وهو أيضاً كان يتكلم في أحمد، فتجنب الناس الأخذ عنه ولما بلغ يحيى بن معين أنه يتكلم في أحمد لعنه، وقال: ما أحوجهم إلى أن يضرب.

وقد سمع الكرابيسي من معن بن عيسى والطبقة وكان يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، ولفظي به مخلوق، فإن عني التلطف فهذا جيد، فإن أفعالنا مخلوقة، وإن قصد الملفوظ بأنه مخلوق، فهذا الذي أنكره أحمد والسلف وعدوه تجهها، ومقت الناس حسينا لكونه تكلم في أحمد. مات سنة خمس وأربعين ومائتين.

وقال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ فِي «سير أعلام النبلاء»^(١) خلال ترجمته ليعقوب ابن شيبه:

«قال أحمد بن كامل القاضي: كان يعقوب بن شيبه من كبار أصحاب أحمد بن المعدل والخارث بن مسكين، فقيها سرياً، وكان يقف في القرآن.

قلت: أخذ الوقف عن شيوخه أحمد المذكور، وقد وقف علي بن الجعد ومصعب الزبيري وإسحاق بن أبي إسرائيل وجماعة، وخالفهم نحو من ألف إمام، بل سائر أئمة السلف والخلف على نفي الخليفة عن القرآن، وتكفير الجهمية. نسأل الله السلامة في الدين.

قال أبو بكر المروزي: أظهر يعقوب بن شيبه الوقف في ذلك الجانب من بغداد، فحذر أبو عبد الله منه، وقد كان المتوكل أمر عبد الرحمن بن يحيى بن خاقان أن يسأل أحمد بن حنبل عمن يُعَلِّد القضاء، قال عبد الرحمن: فسألته عن يعقوب بن شيبه، فقال: متبذع صاحب هوى.

قال الخطيب: وصفه أحمد بذلك لأجل الوقف.

فكيف لو رأوا هؤلاء الذين يؤصلون الأصول للدفاع عن معطلة صفات الله وعن أهل وحدة الأديان وحرية الأديان وأخوة الأديان.

(١) (١٢/٤٧٨).

فانظر هدايك الله للبهن الشاسع بين مقررته في هذه النصيحة وبين منهج السلف الصالح في الانتصار لدين الله وحمايته وإهانة أهل الباطل والأحكام الصاعدة بتبديعهم.

(ص ٣٨): قال الدكتور إبراهيم:

«وينبغي التنبيه هنا لحفظ أصلين عظيمين:

أحدهما- التجرد للحق.

والثاني- حفظ مقام العلماء.

وهذان الأصلان غير متعارضين عند أهل السنة، ولا يُضَرُّط في أحدهما على حساب الآخر.

فحب العلماء ومعرفة قدرهم لا يعني السكوت عن أخطائهم وعدم التنبيه عليها، والتجرد للحق والتنبيه على خطأ العالم لا يعني تنقصه والوقعية فيه، بل يمكن الجمع بينهما عند من وفقه الله.

ومن عرف طريقة العلماء في التنبيه على أخطاء بعضهم دون تنقص أدرك حقيقة الأمر وشواهد ذلك كثيرة من كلام العلماء.

أقول،

إن هذا الكلام لحق.

التجرد للحق وحفظ مقام العلماء ووجوب بيان أخطاء العلماء والتنبيه عليها؛ لأن كل ذلك من الأمور الواجبة المقررة في الإسلام، بل ذلك من الأمور المجمع عليها.

لكن هناك خطر وهو أن يدخل ويُعَدَّ في العلماء الذين يجب احترامهم وحفظ مقاماتهم من ليس منهم وأن يخرج منهم من يجب أن يعرف له قدره.. الخ، وهذا ما

يجري الآن على أيدي كثير من الناس مع الأسف الشديد، وينزلون هذا الصنف الرديء فوق منازلهم بمراحل، رغم ما عندهم من البغي والعدوان على أهل السنة وأصولهم ومناهجهم، ورغم ما عندهم من إسقاط علماء السنة الذين يجب احترامهم وحفظ مكانتهم.

ورغم ما عندهم من الدفاع عن أهل الضلالات الكبرى بالأباطيل وقلب الحقائق والخبائات.

ورغم ما عندهم من تأصيلات لأصول باطلة لإكرام أهل الضلال وإسدال الستار على ضلالهم.

وهذا ما يجري الآن بقوة على أيدي كثير من يدعي السنة مع الأسف، فيطبق على أعمال هؤلاء المكرمين هذا الصنف قول رسول الله ﷺ: «سيأتي على الناس سنوات خداعات، يُصَدَّق فيها الكاذب، ويُكذَّب فيها الصادق، ويُؤْتَمَن فيها الخائن، ويُخُون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة». قيل: وما الرويبضة؟ قال: «الرجل التافه يتكلم في أمر العامة»^(١).

فإن الله وإنا إليه راجعون.

أين هؤلاء من مواقف أهل السنة؟

قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ اللهُ:

«قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: أرى رجلاً من أهل السنة مع رجل من أهل البدعة، أتراك كلامه؟

(١) ساقه الألباني من طريقين عن أبي هريرة رَحِمَهُ اللهُ وَحَسَنَهُ بهما، وأورد له شاهداً من حديث أنس رَحِمَهُ اللهُ، فلا يبعد أن يرتقي إلى درجة الصحيح لغيره، انظر: «الصحيح» (٥٠٨/٤) حديث [١٨٨٨٧].

«ويجب عقوبة كل من انتسب إليهم، أو ذب عنهم، أو أثنى عليهم، أو عظم كتبهم، أو عرف بمساعدتهم ومعاونتهم، أو كره الكلام فيهم، أو أخذ يعتذر لهم بأن هذا الكلام لا يدري ما هو أو من قال إنه صنف هذا الكتاب وأمثال هذه المعاذير، التي لا يقو لها إلا جاهل، أو منافق؛ بل تجب عقوبة كل من عرف حالهم، ولم يعاون على القيام عليهم، فإن القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات؛ لأنهم أفسدوا العقول والأديان على خلق من المشايخ والعلماء والملوك والأمراء، وهم يسعون في الأرض فساداً، ويصدون عن سبيل الله.

فضررهم في الدين أعظم من ضرر من يفسد على المسلمين دينهم، ويترك دينهم كقطاع الطريق، وكالتنار الذين يأخذون منهم الأموال، ويثقلونهم دينهم، ولا يستعين بهم من لم يعرفهم، فضلالهم وإضلالهم أعظم من أن يوصف، وهم أشبه الناس بالقرامطة الباطنية.

وهذا هم يريدون دولة التناثر، ويختارون انتصارهم على المسلمين، إلا من كان عامياً من شيعتهم وأتباعهم فإنه لا يكون عارفاً بحقيقة أمرهم.

ولهذا يقرون اليهود والنصارى على ما هم عليه، ويجعلونهم على حق^(١)، كما يجعلون عباد الأصنام على حق، وكل واحدة من هذه من أعظم الكفر، ومن كان محسناً للظن بهم - وادعى أنه لم يعرف حاكمهم - عُرِف حالهم، فإن لم يبينهم ويظهر لهم الإنكار، وإلا الحق بهم وجعل منهم.

(١) كما يفعل اليوم دعاة حرية الأديان وأخوة الأديان ووحدة الأديان وأنصارهم. ومن يثني عليهم ويذب عن ضلالاتهم من أدعياء العلم قد يلحقون بهم كما يفيد كلام شيخ الإسلام بل هو نص عليه.

وأما من قال لكلامهم تأويل يوافق الشريعة؛ فإنه من رؤوسهم وأنتهم؛ فإنه إن كان ذكياً فإنه يعرف كذب نفسه فيما قاله، وإن كان معتقداً لهذا باطلاً وظاهراً فهو أكثر من النصارى، فمن لم يكفر هؤلاء، وجعل لكلامهم تأويلاً كان عن تكفير النصارى بالثلث والاتحاد أبعد. والله أعلم^(١).

أقول: انظر كيف يحكم شيخ الإسلام على من يثني على أهل وحدة الوجود أو يذب عنهم ويكره الكلام فيهم أو يرى أن لكلامهم تأويلاً كيف يحكم على هؤلاء إما بالنفاق وإما بالجهل، وكيف يجعل شيخ الإسلام القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات.

ومن مصائب هذا الصنف الذين يجارون أهل السنة أنهم يدافعون عن الدعوة إلى وحدة الأديان وأخوة الأديان وحرية الأديان... الخ.

ويجارون أهل السنة؛ لأنهم يقومون بنقد هؤلاء الدعاة إلى وحدة الأديان وحرية الأديان وأخوة الأديان... الخ، ويقذفونهم بأفطع القذائف.

بل وصل الأمر ببعضهم إلى الثناء على رسالة تتضمن وحدة الأديان وأخوة الأديان ومساواة أهل الأديان وحرية الأديان إلى ضلالات كفرية أخرى، ويرى أن هذه الرسالة تمثل وسطية الإسلام.

ويمجد من ألف هذه الرسالة أشد التمجيد، ويحارب هو وحزبه من ينتقد مضامين هذه الرسالة، ويزيد الطين بلة بالثناء على من أيد هذه الرسالة من أصناف أهل الضلال من الروافض والعلمانيين وغلاة الصوفية، ويصفهم بالثقات والأمناء، ويرمي بالغلو من يستنكر هذه المنكرات، فما هو حكم الإسلام في هؤلاء؟ وما هو حكم علماء السنة والسلف الصالح في هؤلاء؟

(١) «مجموع الفتاوى» (١٣٢/٢ - ١٣٣).

لقد استنكر تبديعهم مع الأسف الشديد بعض من ينتسب إلى منهج السلف، فأين هم وآين السلف ومنهجهم وصدعهم بالحق وقيامهم بالعدل في ذمهم عن الإسلام وعقائده وأصوله؟

وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «الباعث الحثيث»^(١) خلال كلامه عن الرواية عن أهل البدع:

«وهذا البخاري قد خَرَجَ لعمران بن حطان الخارجي مادح عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي، وهذا من أكبر الدعاة إلى البدعة، والله أعلم»^(٢).

أقول: انظر إلى هذا العالم الفحل كيف يعتبر مدح المبتدع من أكبر الدعوة إلى البدعة، فكيف إذا أضاف إلى المدح الدفاع عن المبتدع وحارب من ينتقد بدعته، فما أكثر هذه الأصناف حتى من أدعياء السلفية، فإلى الله المشتكى.

ومثل الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ حال شرحه لكتاب «فضل الإسلام» وذلك في شريط مسجل بهذا الاسم عن من يثني على أهل البدع ويمدحهم: هل يأخذ حكمهم؟

فأجاب: «نعم، ما فيه شك، من أثنى عليهم ومدحهم هو داع لهم، يدعوهم، هذا من دعائهم، نسأل الله العافية».

(١) ص [١٠٣].

(٢) قال الحافظ في «هدي الساري» (ص ٤٣٣) في ترجمة عمران: قلت: لم يخرج له البخاري سوى حديث واحد من رواية يحيى بن أبي كثير عنه، وساق الحديث في تحريم لبس الحرير من حديث عمر بن الخطاب، ثم قال: وهذا الحديث إنما أخرجه البخاري في المتابعات فلنحدث عنه طرق غير هذه من رواية عمر وغيره. ثم قال: «ورأيت بعض الأئمة يزعم أن البخاري إنما أخرج له ما حمل عنه قبل أن يرى رأي الخوارج»، لكنه رد هذا الرأي، ثم قال: «عل أن أبا زكريا الموصلي حكى في «تاريخ الموصلي» عن غيره أن عمران هذا رجع في آخر عمره عن رأي الخوارج... الخ. **أقول:** فلا يبعد أن الإمام البخاري ما روى لعمران إلا لاعتقاده أنه قد تاب من مذهب الخوارج.

فهذه مواقف وأحكام أئمة السنة، ولا نجد من السلف والسلفيين حقاً من السابقين واللاحقين من يعترض أو يعارض هذه المواقف وهذه الأحكام.

فعلى من يدافع عن هذه الأصناف ويعتبرهم من أهل السنة أن يسلك سبيل المؤمنين، ويتقي الله في الدعوة السلفية وأهلها، نسأل الله أن يأخذ بنواصيرهم إلى الحق وإلى اتباع سبيل المؤمنين.

(ص ٣٩): قال الدكتور إبراهيم:

«عاشراً: أهل البدع الذين خالفوا عقيدة أهل السنة ومنهجهم في الاستدلال والتعليم والتدريس والدعوة إلى الله، واتبعوا الأهواء ولم يتأسوا بعلماء أهل السنة بل ينتقصونهم ويغمزونهم ويتفضلون عليهم، هؤلاء مبتدعة ضلال ينبغي مجاهدتهم بتنبيه الناس على سوء طريقتهم وانحرافهم عن السنة، والرد على شبهاتهم، ويعاملون معاملة أهل البدع في سائر الأحوال، وهذا لا يمنع من دعوتهم للحق ومجادلتهم بالتي هي أحسن من قبل العلماء إن كان هذا مؤثراً في رجوعهم للسنة.

وينبغي الحذر من الخلط بين علماء أهل السنة وما ينبغي أن يعاملوا به - حتى مع وجود الخطأ - من حفظ مقامهم ومعرفة قدرهم على ما تقدم بيانه، وبين علماء أهل البدع الذين يجب مقاطعتهم ومهاجرتهم والتحذير منهم، وذلك أن خطأ علماء أهل السنة كان عن اجتهاد في طلب الحق مع سلوك الطريق الصحيح في الاستدلال، وخطأ أهل البدع ناتج عن هوى وانحراف وعدم سلوك الطريق الصحيح في الاستدلال؛ فشتان ما بين الحالتين.

وهذا المقام هو فرقان ما بين أهل السنة وأهل البدع، وبهذا يتبين للحادق السبب في عدم تبديع الأئمة لبعض علماء أهل السنة الذين وافقوا بعض أهل البدع في مسائل جزئية من أقوالهم».

أقول: إنه ليفهم من قول الدكتور إبراهيم: «أهل البدع الذين خالفوا عقيدة أهل السنة ومنهجهم في الاستدلال والتعليم والتدريس والدعوة إلى الله، واتبعوا الأهواء ولم يتأسسوا بعلماء أهل السنة بل يتفصوهم ويغمزونهم ويتفضلون عليهم، هؤلاء مبتدعة ضلال».

يفهم من هذا التعريف الطويل الذي قرره هنا (ص ٣٩)، وأكد هذا التقرير في فهرس الموضوعات (ص ٤٨)، حيث نقله بنصه وفصه أن الرجل أو الجماعة لا يحكم عليه أو عليهم بالبدعة والضلال إلا إذا اجتمعت فيه أو فيهم كل هذه الأمور، وهذا تعريف وتقرير عجيب يخالف لأصول ومنهج أهل السنة والجماعة وأحكامهم.

(أ) فالخوارج الذين ذمهم رسول الله ﷺ وأمر بقتلهم، فقاتلهم الصحابة وقتلوا كثيرًا منهم ما كان عندهم إلا التكفير بالحاكمة وبالكبائر من الذنوب.

فليس عندهم شرك لا في الربوبية ولا في الألوهية ولا تعطيل في الأساء والصفات، وعلى امتداد الزمن صار عند أخلافهم عقائد الجهمية والمعتزلة، بل يوجد عند كثير منهم الشرك في القبور.

(ب) والسلف لا يشترطون للتبديع اجتماع الصفات التي سردها الدكتور إبراهيم، فهم يبدعون بل يكفرون بمفردة واحدة من مفردات العقائد، فقد كفروا بغلاة القدرة بضلالهم في عقيدة القدر ونفيهم لعلم الله السابق بما سيعمله العباد وأن الأمر أنف.

وأول من كفرهم بهذا المعتقد عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأعلن براءته منهم وأنهم منه براء، وقال: «لو أن لأحدٍهم مثل أخذ ذكياً فأنفقهُ ما قيل الله منه حتى يؤمن بالقدَر»^(١).

وقال نحوه الصحابي الجليل عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) أخرجه مسلم في «الإيمان» حديث [٨].

ولما غيّر القدرة المتأخرون عقيدتهم في نفي العلم وأنكروا تعلق المشيئة بأفعال العباد اختلف العلماء فيهم فمنهم من يكفرهم ومنهم من يدعهم.

ولما قال المعتزلة في مركبي الكبائر بأنهم في منزلة بين المنزلتين لا كفار ولا مؤمنون بدعهم العلماء وسموهم بالمعتزلة.

ولما قال من قال من أهل الأهواء: إن القرآن مخلوق وليس بكلام الله، كفرهم علماء السنة.

ولما قال من قال من أهل السنة: القرآن كلام الله لكن لفظي به مخلوق بدعهم أهل السنة.

ولما ضلّ المرجئة في تعريف الإيمان فقالوا: إن العمل ليس من الإيمان وأنه لا يزيد ولا ينقص بدعهم أهل السنة.

ولما قال بعضهم في تعريف الإيمان: الإيمان المعرفة بالقلب، كفرهم ووصفهم بأنهم غلاة الجهمية.

وقوله: «وهذا المقام هو فرقان ما بين أهل السنة وأهل البدع، وهذا يتبين للباحث السبب في عدم تبديع الأئمة لبعض علماء أهل السنة الذين وافقوا بعض أهل البدع في مسائل جزئية من أقوالهم».

أقول: لقد بدع السلف عددًا من العلماء كانوا من كبار أهل السنة بسبب قولهم لفظي بالقرآن مخلوق مع موافقتهم لأهل السنة بأن القرآن كلام الله ومخالفتهم لأهل البدع بأن القرآن مخلوق، وهذه المسألة إنما هي جزئية كما ترى.

فهرس

- مقدمة..... ٥
- تمام إنعام الله تعالى على أمة النبي ﷺ بإكمال دينها وحفظه من الضياع..... ٥
- تحذير النبي ﷺ أمته من البدع والفرق وإخباره بوقوع ذلك في الأمة..... ٥
- قيام الطائفة الناجية المنصورة على امتداد تاريخ الأمة برفع راية الكتاب والسنة دعوة وجهادًا وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر..... ٧
- ظهور طائفة تاجر بالدين تحارب أهل السنة السلفيين وتجادل عن أهل البدع والضلال بأساليب مأكرة وتأصيلات باطلة..... ٧
- الدكتور إبراهيم الرحيلي يتصدى لعلاج الفتنة في كتابه «النصيحة...» لكن دون تفريق بين الظالم والمظلوم والغث والسمين..... ٨
- مناقشة نصيحة الدكتور الرحيلي وبيان ما فيها من قصور وخلل..... ٨
- في ذكر الدكتور الباعث له على تأليف نصيحته..... ٨
- ١- كان الواجب معرفة أسباب الخلاف الواقع بين الشباب السلفي والتسبيبي فيها ثم الصدق بالحق..... ٩
- ٢- كان الواجب التنصيص على أعيان البغاة المعتدين الذين افعلوا الفتنة وأججوا نارها بأساليبهم المأكرة..... ٩
- ٣- إن رؤوس الفتن هم عدنان عرعور وأبو الحسن المأربي وعلي حسن الحلبي..... ١٠
- بيان ما في كتابي جمال الدين القاسمي: «تاريخ الجهمية»، وميزان والجرح والتعديل من بلال وحنان..... ١٠

ثم ختم الدكتور إبراهيم هذه النصيحة بوصايا جيدة أسأل الله أن يوفقه للقيام بها على أكمل الوجوه، وأن يوفقه للموقف الصحيح مما تضمنته نصيحته من الأخطاء العلمية.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



- ١ - دفاعه في هذين الكتابين عن أهل البدع وأئمتهم، وادعائه للمعتزلة والجهمية بأنهم من المجتهدين لهم ما للمجتهدين..... ١٠
- ٢ - عدّه الخلاف بين أهل السنة والجمهية خلافاً لفظياً مع انحيازه للجهمية ١٠
- ٣ - مخالفة القاسمي للنصوص النبوية الأمرة بالصبر على الولاة بدفاعه عن الجهم والحارث بن سريج الخارج على دولة بني أمية ١١
- نبذة من أحوال الحارث بن سريج الخارجي (الحاشية) ١١
- العجب من تأييد القاسمي لمذهب الخوارج الذين ذمهم رسول الله ﷺ ١١
- العجب من دفاع القاسمي عن الجهم ورفعته إلى درجة الدعاة إلى الكتاب والسنة ومنحه رتبة المجتهدين ١١
- ادعاء القاسمي للإنصاف وبعده عن التحزب والتعصب من المغالطات الشنيعة وقلب الحقائق الواضحة، الأمر الذي يعود بالظلم في أئمة السلف الذين كفروا جهماً وشيعته ١٢
- ٤ - رمي القاسمي أهل السنة بالجمود والتعصب والتقليد دفاعاً عن عمرو بن عبيد المعتزلي الضال في كتابه «الميزان»، وبيان مغالطته في النقل عن «ميزان» الذهبي ١٢
- نقل مخازي عمرو بن عبيد من «ميزان» الذهبي أخفاها القاسمي وذهب يصفه بالزهد والتقوى والبطولية ١٣
- القاسمي يصف السلفيين بتجدد بالجفاء والغلو ١٣
- القاسمي يهدر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهما من علماء السنة في ابن عربي والنصير الطوسي وغيرهما من أهل البدع بحجة أن ذلك كان حمية مذهبية ١٤
- القاسمي يصف ابن عربي المحدث في كتابه «قواعد التحديث» بالشيخ الأكبر وينقل عنه من كتابه «الفتوحات المكية» المحتوي على الإلحاد والكفر وتحريف كتاب الله ١٤

- قول ابن عربي بوحدة الوجود ١٤
- ابن عربي يقول بسقوط التكليف عن العباد ١٥
- ابن عربي يفضل الأولياء على الأنبياء والأنبياء على الرسل ١٥
- ابن عربي يرى أن أهل النار يتعمون فيها كما يتعمم أهل الجنة في الجنة ١٥
- بيان حال الطوسي الذي يدافع عنه القاسمي ويلزم لأجله الأئمة العدول ١٦
- ٥ - القاسمي يرد عقيدة أهل السنة في الحكم على أهل الأهواء ويدعي لهم الاجتهاد والثبوت على ذلك ١٧
- ٦ - القاسمي يرى أن مجتهد كل الفرق مأجورون أصابوا أو أخطؤوا ١٧
- بعض النصوص الشرعية في ذم أهل الأهواء والبدع ١٧
- إجماع أئمة الإسلام على تضليل الخوارج والجهمية والمعتزلة وسائر أهل الأهواء ١٨
- أبو الحسن المأري وعروعر والخليبي يسرون على منوال القاسمي في الدفاع عن أهل البدع الكبرى والظلم في أهل السنة واختراع الأصول الباطلة ١٨
- سير علي حسن الحلبي على خطى المأري في مدح أهل وحدة الأديان وحرية الأديان ومساواة الأديان ١٩
- تلون علي حسن في مواقف من وحدة الأديان (الحاشية) ١٩
- مناقشة الدكتور الرحيلي في حكمه على من قصر في جانب الأخلاق والسلوك أنه ليس من أهل السنة ٢٠
- ١ - لا يعرف عن أهل السنة أنهم يبدعون من قصر في الأخلاق ٢١
- ٢ - أهل السنة هم أولى من حقق الأخلاق عقيدة وعملاً خلاف ما يرميهم به خصومهم الذين هم أحق بالوصف بتلك الأخلاق الذميمة ٢٢

- مناقشة الدكتور الرحيلي في تركيزه على جانب اللين في الدعوة وإهماله جانب الشدة ٢٢
- إذا لم ينفع اللين ولم يجد الرفق فالشدة هي الحل ٢٣
- ذكر نصوص من القرآن الكريم تأمر بالغلظة والشدة على أهل الباطل ٢٣
- حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على هجاء كفار قريش ٢٣
- القرآن والسنة فيها الأمر بالرفق واللين كما أن فيها الشدة والغلظة حتى على عصاة المسلمين إذا لم ينفع الرفق والعفو والصفح ٢٤
- كلام الدكتور إبراهيم على المداينة والمداورة والتعليق عليه ٢٥
- ١ - تفریق الدكتور إبراهيم بين المداينة والمداورة جيد لكن كان ينبغي التوضيح أكثر وسوق الأدلة الكافية لأن كثيراً من الناس لا تفهم الإشارات والعبارات الموجزة ٢٦
- ٢ - بعض الناس يذم أهل البدع ويحبها من الرفق والحكمة وينكر على أهل السنة ردودهم عليهم ويذب عنهم، وهذا الذي جراً أهل البدع على التهادي في الباطل ٢٦
- التعليق على كلام الدكتور إبراهيم في تعلق الهجر بالمصلحة وما نقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الباب ٢٦
- ١ - إتمام فقرة من كلام شيخ الإسلام تضمن أموراً مهمة لم ينقله الدكتور الرحيلي بتامه ٢٧
- أمران يجب التنبيه لهما: ١ - من الذي يقدر المصلحة أو العكس؟ ٢٨
- ٢ - ينبغي أن يعلم أن في هذه الفتنة التي يعالجها الرحيلي أن البادئ بالهجر من يثير الفتن والشغب، والتتمثيل يقتضي المغراوي وأي الحسن وهؤلاء لا يجدي معهم اللين والرفق ولا تردعهم القوة ٢٨
- مناقشة الدكتور الرحيلي في كلامه على المقاصد الشرعية من الهجر ٢٩

- التعقيب على عبارته: «فللمسلم أن يهجر كل من يتضرر بمجالسته» (الحاشية) ٢٩
- ذكر آية من كتاب الله تفضح نوايا أهل البدع السيئة ويفسر ما حديث عن النبي ﷺ جاء فيه التحذير من هؤلاء ٢٩
- استفاد من الآية والحديث وغيرهما من الأدلة الشرعية أن القصد من ذم أهل البدع والتحذير منهم مصلحة المهاجرين ولو كانوا علماء ٣٠
- تطبيق السلف للهجر والتحذير من أهل البدع لا يلحقهم فيه السلفيون الذين يرمون بالتشدد والغلو ٣٠
- التعقيب على عبارة الدكتور الرحيلي: «بل قد يكون المشروع لهم مجالسة هؤلاء المخالفين» (الحاشية) ٣٠
- زيادة توضيح لمراد شيخ الإسلام ابن تيمية فيما نقله عنه الدكتور الرحيلي في ترك الصلاة على المظهرين للفسق وأهل البدع وبيان الحكمة من ذلك ٣١
- التعقيب على عبارة الدكتور الرحيلي: «ويدل على هذا هجر النبي ﷺ لكعب بن مالك وصاحبيه حتى تابوا وتدموا» (الحاشية) ٣٢
- التعليق على كلام الدكتور الرحيلي في المقصد الثالث: الهجر لمصلحة المهجور ٣٢
- ١ - رجوع أهل البدع عن ضلالاتهم من أصعب الصعوبات ٣٢
- ٢ - إذا كان العالم مهتماً بمصلحة المهجور فإنه يضع في الدرجة مصلحة الأمة قبل مراعاته مصلحة المهجور ٣٣
- قل ما تجد السلف يراعون هذه المصلحة في مواقفهم ومؤلفاتهم ٣٣
- الإمام الصابوني ينقل عن أئمة السلف وأتباعهم بغض أهل البدع وترك سماع كلامهم ومجالستهم تدبيراً وخوفاً على أنفسهم من شبهاتهم ٣٣

الإمام البغوي ينقل اتفاق السلف على بغض أهل البدع وهجرانهم على التأيد إلا أن يتوبوا..... ٣٣

٣- تبييه الدكتور الرحيلي عند قوله: «وشواهد ذلك كثيرة في سيرة النبي ﷺ...» إلى أنه كان يحس أن يأتي بشواهد ليكون الشباب على بصيرة من أمرهم..... ٣٤

التعليق على قول الدكتور إبراهيم: «١- ما يتعلق بالهجرة وهو أن يكون قويًا... فله أن يهجر كل من يتضرر بمجالسته ومخالطته، كما تقدم تقرير ذلك»..... ٣٤

- تحذير أهل العلم من مخالطة أهل البدع إنها هولاء عموم الناس، وكان جبال من أهل العلم من السلف يتجنبون سماع كلام المبتدعة ولو كان قرآنًا..... ٣٤

- لقد جالس أهل البدع كبار من أهل العلم فوقعوا في جبايلهم، وفي هذا عبرة كبرى وذكرى لقوم يعقلون..... ٣٥

التعليق على كلام الدكتور إبراهيم عند ذكره لضوابط الهجرة: ٢- ما يتعلق بالمهجور..... ٣٥

١- إهمال الدكتور ذكر حكم قسم ثالث - وهو الغالب على أهل البدع - من عصور - وهو الذين لا ينفع معه اللين والرفق ولا الهجر وهو داع إلى بدعته، وله أنصار ومؤيدون كما هو الواقع..... ٣٦

استشهد الدكتور الرحيلي بقصة هجر النبي ﷺ لعبار على معصية، ولم يستنكر ذلك أحد على النبي ﷺ، واليوم كثير من المتلبسين بالسنة يستنكرون الرد على أهل البدع والشدة عليهم ويجعلون شدتهم على أهل السنة ورفقهم بأهل البدع..... ٣٨

ذكر فوائد تستفاد من هجران أهل الباطل والتحذير منهم كان الأولى أن تذكر على رأس المقاصد لا إغفالها..... ٣٨

من مفاسد السكوت عن أهل الباطل أو الدفاع عنهم..... ٣٩

جاملة أهل البدع لم يفد الإسلام شيئًا بل زادهم عنادًا ومشاقة..... ٣٩

التعليق على الفصل من قول الدكتور إبراهيم: «٤- ما يتعلق بالزمان والمكان»..... ٣٩

التعليق على قول الدكتور: «إذا كانت الغلبة في الزمان أو المكان لأهل الشر والباطل فلا يشرع الهجر إلا في الأحوال الخاصة»..... ٤٠

أ- عدم تبين الدكتور الأحوال الخاصة..... ٤٠

ب- قوله: «فلا يشرع الهجر» مجمل يحتاج إلى تحرير..... ٤٠

ج- الأنبياء ومن سار على نهجهم يدعون إلى الحق والتوحيد وينكرون الباطل والشرك في أي زمان ومكان..... ٤٠

ذكر أمثلة لمواجهات الرسل وأتباعهم الصادقين للباطل وأهله..... ٤١

د- الضابط الذي ذكره الدكتور لا ينطبق على حال العصر وأهله في المملكة وفي دول الكفر، ولا يصلح الاستشهاد بكلام شيخ الإسلام وتنزيله على واقع العصر..... ٤١

التعليق على كلام الدكتور: «٥- ما يتعلق بمدة الهجر»..... ٤٢

١- كان ينبغي التفريق بين الهجر لأسباب دينية والهجر لأهل البدعة، فالأول لا يجوز فوق ثلاث، والثاني على التأيد إلا أن يتوب..... ٤٣

٢- استشهاد الدكتور بكلام ابن القيم في غير محله، وإنما هو في حق صاحب الاستقامة الذي وقع منه ما يوجب العتب عليه..... ٤٤

التعليق على الفصل من كلام الدكتور في ذكره ضوابط الرد على المخالف: «ثامنًا: الإنكار على المخالف والرد عليه»..... ٤٤

التعليق على قول الدكتور: «من الأصول المقررة عند أهل السنة وهو من أعظم أنواع الجهاد»..... ٤٤

١- عدم إنكار الدكتور على هؤلاء المنتسبين للسنة الذين يجارون من يرد على أهل الأهواء..... ٤٤

٢- إكثار الدكتور من الضوابط والشروط في الرد على المخالف ولم يسق أدلته ولم يأت بكلام أهل العلم عليها، ثم هذا أمر يخدم أهل الأهواء..... ٤٥

محبة رجوع المردود عليه إلى الحق ليس واجبًا ولا هو من لوازم الإخلاص ويدل عليه قصص الأنبياء مع أقوامهم..... ٤٥

ذكر أمثلة من أحوال بعض الرسل ترد الشرط الذي قرره الدكتور..... ٤٥

من مناقب عمر الفاروق رضي الله عنه شدته على الكفار والمنافقين والمخالفين من المسلمين..... ٤٦

الشدّة على أهل البدع والباطل من محامد كثير من أئمة السنة..... ٤٦

ثناء الأئمة على الإمام حاد بن سلمة بشدته على أهل البدع..... ٤٦

الشروط والضوابط التي ذكرها إبراهيم الرحيلي لا توجد في كتب أئمة السنة التي اعتنت ببيان السنة والرد على أهل البدع، وتطبيقها يجعل الرد على أهل البدع يقارب المستحيلات..... ٤٧

تطبيقات الشدة على المعاندين المتمردين كثير في الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح..... ٤٧

أمثلة من شدة النبي ﷺ على أهل البدع..... ٤٧

دعاء خبيب بن عدي رضي الله عنه على الكفار بالهلاك..... ٤٨

التعليق على الشروط التي ذكرها الدكتور الرحيلي والتي ينبغي توفرها في الراد على المخالف..... ٤٨

١- استكمال تلك الصفات لا يجب استكمالها في كل راد ولا توفرها في كل رد وإلا قل الراد إلا النادر..... ٤٨

٢- الواقع يؤكد عدم صحة هذه الشروط إذ نفع الله بطلاب علم في نشر التوحيد ورد الشرك والبدع..... ٤٩

يلزم على قول الدكتور إبراهيم أنه لا يلزم طلبه العلم إنكار المنكرات التي يعلمون قبورها لأنهم ليسوا من العلماء الراسخين..... ٤٩

التعليق على كلام الدكتور في صفات المردود عليهم التي ينبغي على الراد أن يكون محيطًا بها..... ٥٠

كلام الدكتور مجمل ويفتقر إلى الأدلة، ويحتاج إلى التمثيل له، ثم هو في الواقع عقة في وجه الراد..... ٥٠

لا يوجد مثل هذه التقييدات في كتاب الله وفي سنة رسول الله ولا في كتب السلف..... ٥١

لا يلزم الراد معرفة الباطل على البدعة أو المعصية إذ ذلك لا يعلمه إلا الله..... ٥١

بعض الأدلة على الأخذ بظاهر الحال..... ٥١

كما يجب على الدعاة التيسير في دعوتهم فينبغي التيسير عليهم في جهادهم أهل البدع والضلالات ولا يوضع في وجوههم القيود والعقبات التي توهم العزائم..... ٥٢

التعليق على كلام الدكتور في التراجع بين مفسدة المخالفة والمفسدة المترتبة على الرد..... ٥٢

استشهاد الدكتور بكلام شيخ الإسلام غير سليم، لأن شيخ الإسلام لا يرى أن الشرك والبدع الكبرى وحرب أهل السنة من الفساد القليل وإنكاره وبيان خطره من الفساد الكبير..... ٥٣

الظاهر أن كلام شيخ الإسلام يريد به من ينصح لولاة الأمور، وله ولتلميذه ابن القيم كلام كثير نحو هذا ٥٣

موقف الإمام أحمد من فتنة خلق القرآن ومواقف الإمامين ابن تيمية وابن القيم يردان فهم الدكتور الرحيلي لكلام ابن تيمية ٥٤

الرد على قول الدكتور: «٥- أن يراعى في الرد أن يكون على قدر انتشار المخالفة...» ٥٤

١- رسالة النبي ﷺ عامة فينبغي دحض كل ما يخالفها ٥٥

في هذا العصر صارت الفتنة تنجم في الشرق فتخطفها وسائل الإعلام إلى الغرب ويصير لصاحبها أتباع ومروجون من مختلف البلاد ٥٥

٢- المعروف من مؤلفات أهل السنة في ردودهم يرد قول الدكتور عند وصفه لرد أهل السنة للمخالفات أنهم يردون: «من غير ذكر للمخالفة» ٥٦

٣- الرد على تعميم الدكتور الرحيلي فتنة العامة بكتب الردود ٥٧

إنما ضل أكثر الناس نشر أقوال أهل الباطل ٥٧

القرآن مليء بالردود على الكفار واليهود والنصارى والمشركين ٥٧

كتب ردود السلف ومن اتبعهم هدى الله بها خلقاً كثيراً وحى بها من أهل السنة الكثير ٥٨

محاربة الردود بدأها الإخوان المسلمون وتلقفها عنهم بعض أهل السنة للأسف ٥٨

الرجاء اعتذار الدكتور من كلامه في الردود ٥٨

التعليق على رواية الدكتور الرحيلي قصة عن طلبة وزعوا كتب الردود على أناس حديثي عهد بإسلام ٥٨

١- المطالبة بالثبوت من صحة القصة ٥٨

٢- يجوز أن يكون هؤلاء الطلبة من أتباع أهل الأهواء ٥٨

٣- إن ثبت هذا عن طلبة سلفيين فينبغي التماس العذر لهم وأنهم ما فعلوا ذلك إلا من منطلق النصيحة ٥٨

التعليق على الفقرة من قول الدكتور: «٦- الرد على المخالف من فروض التكفايات...» ٦٠

لا يسع العلماء أن يسكتوا إذا لم يرتدع المردود عليه برد العالم الواحد عليه لا سيما إذا كان له مؤيدون من أدعياء العلم واستغل سكوت أهل العلم الباقين عنه ٦٠

كان الواجب على الدكتور إبراهيم والعلماء الساكتين أن يتحركوا لمواجهة الفتنة الضاربة أطنابها ٦١

لا يبعد أن يكون سبب الفتنة ودوامها سكوت طائفة من أهل العلم عن القيام بواجبهم الكفائي ٦١

من فقه السلف في قيامهم على الفتنة مجتمعين ٦١

توضيح هذه المسألة بالجهد في ميدان المعركة إذا لم يتحقق الواجب الكفائي بطائفة وجب حث الناس لمساندتهم ٦٢

سكوت العلماء عن بيان الحق عند الحاجة أو الضرورة من كتمان الحق ٦٢

كان الواجب على الدكتور الرحيلي أن يبين الطرف الظالم المعاند الذي تسبب في الفتنة ٦٢

التعليق على كلام الدكتور: «تأسعاً علماء أهل السنة الذين عرفوا بسلامة الاعتقاد...» ٦٣

التفريق بين الأمور الخفية والأمور الواضحة الجلية كأن يدافع المنتسب للسنة عن أهل وحدة الوجود وحرية الأديان وغيرها من الضلالات ريبصر ويعاند ٦٣

من كان حاله الدفاع عن أهل البدع الكبرى واختراع الأصول الباطلة لحمايتهم وظهر عليه الكذب والحياة لا يجوز لعاقل أن يعده من أهل السنة ٦٤

أمثلة من تبديع أهل السنة أشخاصاً بأقل من هذه الضلالات المجتمعة ٦٤

التعليق على كلام الدكتور حول إعداد المجتهدين ٦٥

١- مقصود شيخ الإسلام من التفريق المذموم بين مسائل الأصول ومسائل الفروع هو تفريق أهل البدع بينها في التضييل والتكفير ٦٦

٢- التفريق بين مسائل الأصول ومسائل الفروع من حيث إن الأولى اعتقادية علمية والثانية عملية هذا ثابت عن شيخ الإسلام وغيره من علماء المذاهب ٦٦

٣- النقل عن الإمام ابن أبي زيد القيرواني في ضابط الإعداد بالاجتهاد ٦٧

عمل السلف يؤيد ما نقله الإمام ابن أبي زيد القيرواني ٦٧

التوفيق بين قول شيخ الإسلام ابن تيمية وقول ابن أبي زيد القيرواني ٦٧

٤- لا يجوز توسيع دائرة الاجتهاد والمجتهدين، ومن ينافح عن البدع والضلالات الكبرى ويوصل للباطل هذا مجتهد في الباطل ٦٨

ذكر شروط الاجتهاد (الحاشية) ٦٨

هؤلاء المحامون عن أهل البدع المؤصلون للباطل قد نوصحوا مرات وكرات لكنهم تمادوا في ضلالهم ٦٨

الرجاء ترك الاعتذارات لأمثال المذكورين إذ عمل السلف على خلافه ٦٩

أمثلة لتبديع الأئمة لأناس هم أعلم وخير وأحق بوصف الاجتهاد ممن يعتذر لهم الدكتور ٦٩

نبذة من ترجمة المحاسبي في «الميزان» للذهبي وما قيل فيه ٦٩

كيف لو رأى الأئمة من يتسمى بالسلفية ويدافع عن وحدة الأديان إلى ضلالات أخرى؟ ٧٠

كيف لو رأى الأئمة من يدافع عن هؤلاء؟ ٧٠

ترجمة الكرابيسي من «ميزان» الذهبي وذكر سبب تبديعه ٧٠

ترجمة يعقوب بن شيبه من «سير» الذهبي وذكر سبب تبديعه ٧١

البون الشاسع بين تقارير الدكتور في نصيحته ومنهج السلف الصالح ٧٢

التعليق على عبارة الدكتور الرحيلي: «حفظ مقام العلماء» ٧٢

التنبية على أن ما يجري في الساحة هو عد من ليس عالماً في العلماء والعالم حقاً لا يعرف حقه وقدره ٧٣

انطباق الوصف الذي ذكره النبي ﷺ في حديث: «السنين الخداعات» على هؤلاء الذين يزكون أهل الباطل ويوصلون له القواعد الباطلة ويرمون أهل السنة بالغلو والشدة ٧٣

ذكر موقفين لإمامين من أئمة السنة فيمن يجالس المبتدعة ٧٤

هؤلاء المدافعون عن أهل البدع المحاربون لأهل السنة عكسوا القضية ٧٤

حكم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيمن يذب عن أهل وحدة الوجود أو يثني عليهم أو يتأول لهم أو يعتذر لهم ٧٥

هؤلاء الذين يشنون على الدعاة إلى وحدة الأديان اليوم يدخلون في نص كلام شيخ الإسلام (الحاشية) ٧٥

بعد كثير من المنتسبين إلى السنة اليوم عن المنهج الذي قرره شيخ الإسلام في التعامل مع أهل وحدة الوجود والمدافعين عنهم ٧٦

الإمام ابن كثير رحمه الله يعتبر مدح المبتدع من أكبر الدعاة إلى البدعة ٧٧

- الاعتذار للبخاري رَحِمَهُ اللهُ في إخراج حديث عمران بن حطان في صحيحه (الحاشية) ٧٧
- الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ يجعل من يثني ويمدح المبتدع داعية له ٧٧
- التعليق على المقطع من قول الدكتور: «عاشراً: أهل البدع الذين خالفوا عقيدة أهل السنة ومنهجهم في الاستدلال والتعليم والتدريس والدعوة إلى الله...» ٧٨
- تقرير الدكتور للصفات التي يعلق عليها الحكم بالبدعة على الرجل أو الجماعة تقرير عجيب غريب مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة ٧٩
- أ- الخوارج الذين حذر منهم النبي ﷺ وأمر بقتلهم لم يكن عندهم شرك لا في الربوبية ولا في الألوهية ولا في الأسماء والصفات، إنها هو التكفير بالحكمية وكبائر الذنوب ٧٩
- ب- السلف لم يشترطوا اجتماع كل الصفات التي ذكرها الدكتور، فهم يدعون بل يكفرون بغيره واحدة من مفردات العقائد ٧٩
- الاستدراك على قول الدكتور: «وهذا يتبين للحاذق السبب في عدم تبديع الأئمة لبعض علماء السنة الذين وافقوا بعض أهل البدع...» ٨٠
- لقد بدع السلف عدداً من العلماء كانوا من كبار أهل السنة بسبب قولهم: لفظي بالقرآن مخلوق ٨١
- فهرس ٨٣

مَكْتَبَةُ السَّافْوَاهِ

لِصَفِّ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ

ت/ 002 - 1090026811

01124908088

al.safwah@yahoo.com